# مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب

تأليف
الدكتور محمد محمد يونس علي



# مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب

تأليف
محمد محمد يونس علي

دار الكتاب الجديد المتحدة

**الطبعة الأولى**

حزيران/يونيو/الصيف 2004 إفرنجي

| رقم الإيداع المحلي 5959/ 2004 |
| --- |
| ردمك (رقم الإيداع الدولي) ISBN 9959-29-243-6 |
| دار الكتب الوطنية/ بنغازي ـ ليبيا |

**تصميم الغلاف: نقوش**

**دار الكتاب الجديد المتحدة**

أوتوستراد شاتيلا - الطيونة، شارع هادي نصر الله - بناية فرحات وحجيج، طابق 5،

خليوي: 933989 - 03 - هاتف وفاكس: 542778 - 1 - 00961 - بريد إلكتروني: szrekany@inco.com.lb

ص.ب. 6703/14 - بيروت - لبنان

الموقع الإلكتروني www.oeabooks.com

توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية: زاوية الدهماني، السوق الأخضر، ص.ب: 13498،

هاتف: 4448750 - 4449903 - 3338571 21 . 00218 - فاكس: 4442758 . 21 . 00218،

طرابلس - الجماهيرية العظمى - oeabooks@yahoo.com

# مقدمة

ما زالت دراسة علم الدلالة semantics لا تتميز معالمها من دراسة علم آخر تتداخل جزئياته معه، وهو علم التخاطب pragmatics الذي يترجمه بعض اللسانيين العرب بالذرائعية حينا، وبالتداولية، أو النفعية حينا آخر، وهي تراجم غير موفقة؛ لأن هذا المصطلح (وهو إغريقي الأصل) يفسره الغربيون بأنه علم الاستعمال the science of use، الذي يتفق تماما مع مباحث الاستعمال المقابلة لما يعرف بالوضع عند علماء أصول الفقه، والبلاغيين العرب القدماء. وعلى الرغم من أن الاستعمال في التراث العربي، والإسلامي لم يصبح علما لغويا مستقلا كما حدث للوضع، فإن تسمية pragmatics بعلم الاستعمال قد تكون أفضل من غيرها مما ذكر، وإن كنت أفضّل ترجمته بعلم التخاطب، وهي ترجمة تراعي ماصدق اللفظ لا مفهومه بالمعنى المنطقي للمصطلحين، حيث يقصد بمباحث الاستعمال ما يدخل في إطار المباحث التخاطبية تماما.

ولئن كان التداخل بين اهتمامات علمي الدلالة والتخاطب مسوّغا للجمع بينهما، فإن المنهجية تقتضي توضيح الفروق الجوهرية بينهما، وهذه إحدى المهام التي تكفّل بتوضيحها هذا الكتاب.

ونظرا إلى افتقار المكتبة العربية إلى هذا النوع من الكتب التي تعرّف بعلمين مترابطين يهتمان بدراسة المعنى هما علم الدلالة، وعلم التخاطب، من المتوقع أن يسد هذا الكتاب قسطا مهمّا من حاجة الطلاب العرب إلى الخوض في غمار علمين ممتعين يدرس أولهما المعنى بمعزل عن السياق، ويدرس الآخر المعنى في سياق الاستعمال. وإذا كانت معظم موضوعات الكتاب مناسبة لطلاب الدراسات الأولية في الجامعات، فإن طلاب الدراسات العليا سيجدون فيه وسيلة ناجعة لفتح آفاق جديدة في البحث، ومادة غنية من المعارف اللسانية الحديثة. أما المثقفون، والمهتمون بالدراسات اللغوية واللسانية، والباحثون في مجالات اللغة، وأساتذة الجامعات المعنيون باللغة فسيجدون فيه من التنوع، والثراء الفكري، والمزاوجة بين التراث والدراسات اللسانية الحديثة ما يؤلف نسيجا متجانسا من الدرس اللساني المثير للاطلاع، والنقد، والاستمتاع.

وربما كان من أهم الموضوعات الدلالية، والتخاطبية التي يمكن أن تعالج في كتاب بهذا الحجم هي التعريف بعلمي الدلالة والتخاطب، والنظريات الدلالية المختلفة، وأنواع المعنى عند كل من الغربيين، وعلماء أصول الفقه الإسلامي، ومشكلات المعنى. وقد عُرضت كل هذه المباحث في إطار أصول نظرية متناسقة أنطولوجيا، وإبستمولوجيا، على الرغم من تنوع مصادرها التاريخية، والجغرافية، ولعلّ مما أسهم في تماسكها الفلسفي والمنطقي اندراجها ضمن جهود ومحاولات يقوم بها المؤلف في سبيل بناء علم تخاطب حديث يستمد جذوره، وأصوله من التراث العربي الإسلامي.

لقد حان الوقت لكي نقحم طلابنا وباحثينا في موضوعات متشعبة الاهتمامات، ومتنوعة الجدوى، وآن لنا أن نعرض آراء أسلافنا علماء التراث على نحو تبدو فيه منافسة منافسة حقيقية لأحدث المدارس اللسانية، وهي المدرسة البراغماتية، أو التخاطبية كما يروق لي أن أسميها. ولا يخفى أن ذلك يعيننا على تقديم نهج جديد في التعامل مع التراث تصغي فيه آذان اللسانيين إلى ما قدمه أجدادنا من تبصّرات، وآراء ثاقبة في عصر كان يسود فيه الفكر على العاطفة، وينزع فيه العالِم إلى تقديم الجديد المفيد، بدلا من الاكتفاء بالتغني بالقديم العتيق.

**محمد محمد يونس علي**

# فهرس المحتويات

# الفصل الأول

## التعريف بعلمي الدلالة والتخاطب

### ■ 1 . التعريف بعلمي الدلالة والتخاطب

لقد أضحى من المسلم به في الدراسات اللسانية أنه لا يمكن الحديث عن علم الدلالة دون موازنته بما يسمى عند الغربيين بالبراغماتية pragmatics، وهو ما يمكن ترجمته حرفيا بعلم الاستعمال، وإن كانت ترجمته بعلم التخاطب أكثر قبول كما تقدم في المقدمة. ونظرا إلى هذه الصلة الوثيقة بين علمي الدلالة والتخاطب، فلعله من المناسب أن نقدم نبذة موجزة عن كل منهما.

### ■ 1، 1- علم الدلالة

وضع مصطلح علم الدلالة semantics اللساني المشهور بريال **Breal** للمجال الذي يعنى بتحليل المعنى الحرفي للألفاظ اللغوية ووصفها. ولا تقتصر اهتمامات هذا العلم على الجوانب المعجمية من المعنى

فقط، بل تشمل أيضا الجوانب القواعدية. وكذا فإن مباحثه لا تقتصر على معاني الكلمات فقط، بل تشمل أيضا معاني الجمل، وإن كان اللسانيون في عصر ما قبل الثمانينيات كانوا يميلون إلى الاقتصار على معالجة المعاني المعجمية للمفردات فقط دون أن يتطرقوا تطرقا كافيا للعناصر القواعدية وبنى الجمل، وكان لتطور النحو التوليدي أثر بارز في توسيع مفهوم علم الدلالة البنيوي المعجمي؛ ليشمل مباحث تتصل بعلم دلالة الجملة sentence semantics.

وهكذا فإن من الموضوعات التي يتناولها هذا العلم:

أ. البنية الدلالية للمفردات اللغوية.

ب. العلاقة الدلالية بين المفردات كالترادف والتضاد.

جـ. المعنى الكامل للجملة، والعلاقات القواعدية بينها.

د. علاقة الألفاظ اللغوية بالحقائق الخارجية التي تشير إليها، وهو ما يدرس في علم الدلالة الإشاري[1].

ومن المباحث التقليدية السائدة في الغرب ما يعرف بعلم الدلالة التاريخي الذي يدرس الكلمات المفردة، وتاريخها، وتطور معانيها عبر العصور تحت مبحثين يطلق عليهما التأثيل etymology، والتغير الدلالي semantic change.

وقد تعددت اهتمامات الباحثين في علم الدلالة من تخصصات مختلفة إلى الحد الذي أصبح فيه الحديث عن علوم الدلالة ممكنا. وهكذا نجد اللساني جون لاينز مثلا يميز بين علم الدلالة اللغوي، وعلم الدلالة

---

(1) Hadumod Busmann, Routledge Dictionary of Language and Linguistics, translated and edited by Gregory Trauth and Kerstin Kazzazi (London: Routledge, 1996, p. 423).

الفلسفي، وعلم الدلالة الإناسي anthropological semantics، وعلم الدلالة النفسي، وعلم الدلالة الأدبي، وهلمّ جرّا[2]. غير أنه عندما يطلق علم الدلالة دون قيد، أو وصف، فإنه ينصرف إلى علم الدلالة اللغوي.

## ■ 1، 2- علم التخاطب

يعرف علم التخاطب pragmatics: بأنه «دراسة كيف يكون للقولات معان في المقامات التخاطبية»[3]. وهو بذلك يتميز عن علم الدلالة الذي يدرس المعنى وفقا للوضع فقط، وبمعزل عن السياق، والمقامات التخاطبية.

لقد تطور هذا العلم كثيرا بفضل الجهود التي قام بها لغويون وفلاسفة لغة أمريكيون مثل أوستن Austin، وسيرل Searle، وقرايس Grice. وقد كان اللسانيون حتى عهد قريب يبعدون المعنى عن موضوع دراساتهم بسبب طبيعته المعقدة التي تتداخل فيها مجالات بحثية مختلفة كالفلسفة، والمنطق، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وغيرها. وحتى أولئك الذين دعوا إلى دراسة المعنى بحجة عدم إمكان الفصل بين النحو، والمعنى، كاللساني لاكوف Lakoff لم يدخلوا المشاركين، والعناصر التخاطبية الخارجة عن البنية اللغوية كالمخاطِب، والمخاطَب، والسياق الخارجي في نطاق اهتماماتهم.

وقد سبق لموريس في تمييزه الثلاثي المشهور بين حقول علم العلامات (النحو والدلالة والتخاطب) أن ذكر أنّ علم النحو يدرس العلاقات بين العلامات اللغوية، وعلم الدلالة يدرس علاقاتها بالأشياء، والتخاطب

(2) John Lyons, Linguistic Semantics: An Introduction (Cambridge: Cambridge University Press, (1995), p. xii.

(3) Leech, Geoffrey, Principles of Pragmatics (Newyork: Longman, 1983, p. x.

يدرس علاقة العلامات بمفسريها[4]. ويعود هذا التصنيف الثلاثي إلى بيرس Peirce، وإن كان موريس هو أول من رسمه بوضوح، وأيده كارناب Carnap[5].

ومن التفريقات المقترحة بين علم الدلالة، وعلم التخاطب أن الأول يدرس المعنى، والثاني يدرس الاستعمال[6]، وهو تفريق شبيه بتفريق علماء أصول الفقه المسلمين بين علم الوضع، والاستعمال؛ فكل من الوضع والدلالة يدرس المعنى بمعزل عن السياق، وكل من الاستعمال والتخاطب يدرس اللغة في سياقاتها الفعلية. غير أن الفرق بين دراسات الغربيين، وعلماء التراث هو أن الدلالة والتخاطب أصبحا علمين متميزين في اللسانيات الحديثة، في حين أن الوضع فقط هو الذي استقل علما من العلوم اللغوية في التراث العربي والإسلامي، أما الاستعمال فلم يأخذ طابع العلم المستقل حتى الآن[7]، وإن كانت هناك محاولة لصوغ أصوله، ونظرياته، ومناهجه في كتاب «علم التخاطب الإسلامي»: Medieval Islamic Pragmatics

ويتصل الفرق بين علم الدلالة، وعلم التخاطب بالفرق بين الجملة، والقولة، وهو فرق ناشئ عن التمييز بين اللغة، والكلام، فبينما تنتمي الجملة (التي هي كيانات لغوية مجردة) إلى اللغة، تنتمي القولات (التي هي تجليات فعلية وتحققات وتجسدات عملية للجمل) إلى الكلام. ولعل من نافلة القول هنا أن نشير إلى أن معاني الجمل هي موضوع علم الدلالة في حين أن معاني القولات هي موضوع علم التخاطب.

(4) John Lyons, Semantics (Cambridge: Cambridge University Press, 1977, p. 115.

(5) LyonsLyons1: 114: 1977.

(6) Stephen C Levinson, Pragmatics (Cambridge: CUP, 1983, p. 5.

(7) Mohamed M. Yunis Ali, Medieval Islamic Pragmatics (London: Curzon Press, 2000, p. 9.

ثم إن الفرق بين المعاني اللغوية، ومقاصد المتكلمين (أو مراداتهم) وثيق الصلة بالفرق بين علم الدلالة، وعلم التخاطب. فالمعاني اللغوية (التي هي معان وضعية تفهم من مفردات اللغة، وتراكيبها) تنضوي في إطار اهتمامات علم الدلالة؛ لأن استنباطها لا يحتاج إلى عناصر خارج البنى اللغوية. أما مقاصد المتكلمين فلا يمكن التوصل إليها إلا بمعرفة السياقات التي قيل فيها الكلام، ومعرفة المخاطِب والمخاطَب، وإعمال القدرات الاستنتاجية التي يمتلكها المخاطب عند التعامل مع الكلام.

وظل اللسانيون بفعل التطورات السابق ذكرها يرفضون الاقتصار على دراسة الجمل اللغوية على نحو تجريدي بمعزل عن السياقات التي تستخدم فيها، رافضين فكرة تشومسكي بشأن «المخاطب السليقي المثالي ideal native speaker/hearer»..

وفي السنوات الأولى من السبعينيات قصر البحث في علم التخاطب على ما يعرف بنظرية أفعال الكلام speech act theory، ثم بدأ الاهتمام يتمحور بالدرجة الأولى على الدراسات العملية empirical في تحليل المحادثة التي قام بها قرايس في سنة 1975م في ما يسميه بأصول المحادثة maxims of conversation. وبسبب الإدراك المتنامي للتفاعل المتقارب بين المعنى والاستعمال، كان هناك ميل في المدة الأخيرة إلى معاملة المبحثين السابقين في إطار علم دلالة أوسع، ولاسيما في أعمال صورية formal مثل علم دلالة المقام situation semantics[8]، والمنطق الخطابي illocutionary logic[9].

(8) Jean Mark Gawron and Stanley Peters, Anaphora and Quantification in Situation Semantics (Stanford: CSLI 1990).

(9) Hadumod Busmann, Routledge Dictionary of Language and Linguistics, translated and edited by Gregory Trauth and Kerstin Kazzazi (London: Routledge, 1996), p. 374.

ونتيجة للاهتمام بالجوانب التخاطبية في التعامل مع المعنى، فقد ساد المنهج البلاغي في دراسة هذا العلم[10].

ولا يفوتنا أخيرا أن نذكر أن علم الدلالة هو فرع عن اللسانيات النظرية (أو علم اللغة النظري).

(10) Leech: 1983, xi.

# الفصل الثاني

## نظريات الدلالة

### ■ 2 . نظريات الدلالة:

ظهر عند الغربيين عدد من النظريات التي تصف المعنى وتشرح طبيعته وتفسره وتصنفه إلى أنواع مختلفة تبعا لمعايير متنوعة، ومن هذه النظريات نظرية الإشارة، والنظرية السلوكية، والنظرية السياقية، وسنسلط الضوء على هذه النظريات في المباحث الآتية.

### ■ 2، 1- نظرية الإشارة:

تعود هذه النظرية إلى أصول فلسفية ومنطقية وسيكولوجية، ولذا فإن إلقاء الضوء على هذه النظرية يحتاج إلى الإلمام ببعض المفاهيم الفلسفية والمنطقية، أهمها:

**■ 2، 1، 1- مراتب الوجود:**

أي ما يراه الفلاسفة والمناطقة من أن وجود الأشياء يتجسد في أربعة أنواع:

أ. الوجود الذهني، وهو وجود صورة للشيء المتحدث عنه في الذهن، ويظهر ذلك حين يستدعي ذكر كلمة «إنسان» مثلا صورة مجردة تلخص أشكال كل الناس الذين رآهم في حياته.

ب. الوجود الخارجي للشيء، وهو وجود أفراد البشر مثلا بكل أجناسهم وألوانهم وأشكالهم في الواقع الخارجي.

جـ. الوجود اللفظي، وهو وجود أصوات الكلمة التي تدل على صورته الذهنية، وتستدعيها في دماغه، ويشار بها إلى أفراد ذلك الشيء في العالم الخارجي، وذلك كلفظة [إنسان].

د. الوجود الكتابي، وهو وجود حروف هجائية مكتوبة تدل على الكلمة المعنية كحروف كلمة [إنسان].

وقد أشار علماء التراث إلى هذه الأنواع الأربعة، كما هو واضح في بيان الغزالي لرتبة الألفاظ من مراتب الوجود[11]، وتوضيح منزلة وجود المعاني في هذا المربع الدلالي عند حازم القرطاجني[12].

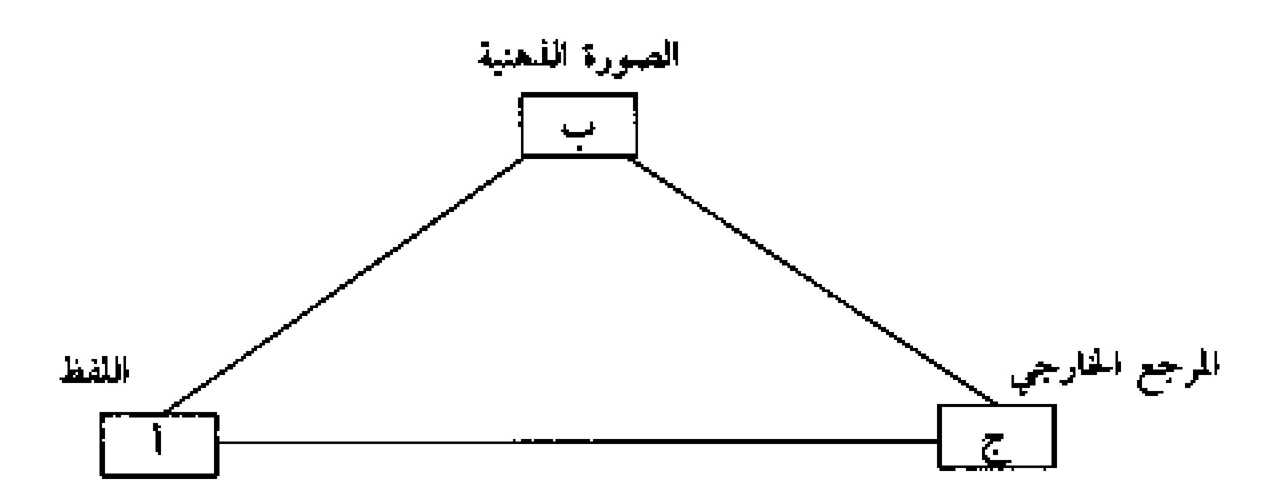
والشائع عند علماء الدلالة واللسانيين عامة الاقتصار على الأنواع الثلاثة الأولى دون الرابع لأنهم لا يرون أن الكتابة جزء طبيعي من اللغة البشرية الطبيعية، بل هي عملية اصطلاحية اصطناعية لرموز حرفية لا تمثل بالضرورة الأصوات المنطوقة. ويعد أوجدن وريتشاردز من أوائل

---

(11) أبو حامد الغزالي، معيار العلم في فن المنطق، ط4 (بيروت: دار الأندلس، 1983)، ص 46 ـ 47.

(12) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط3 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986)، ص 19.

من وضع هذه الأنواع الثلاثة في شكل مثلث عرف بالمثلث الدلالي.




وعلى الرغم من أن أوجدن وريتشاردز اختارا مصطلح «الفكرة»، أو «الإشارة» للطرف ب من المثلث[13]، فإن استخدام كلمة مفهوم أو صورة ذهنية أولى لانسجامها مع ما هو شائع في تراث العربية، ولاسيما في مجالي المنطق والفلسفة.

- **2، 1، 3 ـ التفريق بين الإشارة والإحالة:**

خلافا لما هو سائد في علم الدلالة يميل بعض اللسانيين إلى التفريق بين الإشارة reference، والإحالة denotation، فالإشارة هي «علاقة بين اللفظ، وما يشير إليه في المقام المستخدم فيه»[14]، والإحالة هي علاقة اللفظ بالمفهوم العام الذي يحيل عليه في ذهن المخاطب بغض النظر عن المقام، أو السياق الخاص الذي ورد فيه. وتبدو أهمية هذا التفريق

(13) CK Ogden and IA Richards "Thoughts, Words and Things"in Donald E. Hayden and E. P. Alworth (eds), Classics in Semantics (London: Vision Press Limited, 1965). pp. 250-252.

(14) Lyons 174:1:1977.

العبارات التي لها معنى عام، ولكن المقصود بها في سياق ما أضيق من مفهومها العام، كما في قوله تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ : «قال: بل فعله كبيرهم هذا» التي تقتصر إحالاتها على مفاهيم عامة يعين في فهمها الوضع اللغوي، ولا يتضح المقصود بها إلا بفك رموز إشاراتها أي بتحديد مراجع تلك الإشارات كما سنوضح في المباحث القادمة، وبناء على ذلك يمكن القول إن الإحالات مرتبطة بالوضع اللغوي أي أنها تندرج في المعاني لا في المقاصد التي لا تنكشف إلا بتوضيح الإشارات.

ومن أمثلة الفرق بين الإشارة، والإحالة ما تدل عليه التعبيرات الآتية: سيد المرسلين، وأفضل الكائنات، وخاتم النبيين. فإحالاتها هي معانيها الوضعية بغض النظر عن المقصود بها، أما إشاراتها فتعني تأويلها بتوضيح المقصود بها على وجه التحديد، وهو سيدنا محمد ﷺ. فالمحال عليه إذن هو شخص موصوف بأنه سيد جميع الرسل، وأنه أفضل المخلوقات، وأنه لا نبي بعده دون الوقوف على المراد منه تحديدا، وقد أعانتنا عقائدنا الإسلامية (التي تدخل في إطار السياق الثقافي) على معرفة المشار إليه في كل التعبيرات السابقة (وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم).

وأخيرا ربما كان من المهم هنا أن نلاحظ الصلة بين الإحالة، والوضع، واللغة، والمعنى، والجملة، واللفظ من جهة، والإشارة، والاستعمال، والكلام، والقصد (أو المراد) والقولة، والسياق من جهة أخرى.

| الإشارة | الإحالة |
|---|---|
| الاستعمال | الوضع |
| الكلام | اللغة |
| القصد | المعنى |
| القولة | الجملة |
| السياق | اللفظ |

### ■ 2، 1، 4 ـ التعيين:

تتميز بعض الألفاظ اللغوية بإبهامها الشديد بحيث لا تتضح معانيها إلا من خلال السياق الذي وردت فيه، ويطلق على العملية التي يحدد فيها المقصود بتلك الألفاظ مصطلح «التعيين» deixis، وهو يشمل الآتي:

1 ـ تعيين الأشخاص person deixis، وذلك بإرجاع الضمائر المختلفة إلى ما تشير إليه.

2 ـ تعيين الزمان time deixis، وذلك بتحديد المراد بالألفاظ الدالة على الأزمنة مثل غدا، والأسبوع القادم، والشهر المقبل، وأمس، والسنة الماضية، وحينئذ، والآن، وقبل ذلك، وبعدئذ إلخ.

3 ـ تعيين المكان place، ويتم ببيان المقصود بالأماكن من خلال السياق الذي وردت فيه، ومن الألفاظ المكانية المبهمة هنا، وهناك، وفوق، وتحت، وأمام، وذلك المكان، وهذا الأمر، ونحو ذلك.

ولا يخفى أن التعيين لا بد منه في تحديد المشار إليه، ونقل الألفاظ من حيّز الإحالة إلى حيّز الإشارة بالمفهوم السابق للمصطلحين.

### ■ 2، 1، 5 ـ الفرق بين المسمى والمعنى:

يعود التفريق بين المسمى nominatum، والمعنى meaning إلى الفيلسوف الألماني قوتلب فريجة، وقد عرف المعنى بأنه «الطريقة التي يعبر بها

عن الشيء»[15] في حين أن المسمى هو العَلَم الذي أطلق على ذلك الشيء. وقد نشأ هذا التفريق عن ملاحظة فريجة أن عباراتي نجم الصباح، ونجم المساء تشيران إلى مسمى واحد هو نجم الزهرة venus، ولكنهما اختلفا في معنييهما. ويفيد هذا التفريق كثيرا في فهم ظاهرة الترادف الإشاري (أو الترادف في المسمى)، ويقصد به اتفاق المرجع الذي يشير إليه اللفظ مع اختلاف معاني الألفاظ المستخدمة في الدلالة عليه. ومن أمثلته الإشارة إلى آدم عليه السلام بالعبارات الآتية:

(أ) أول الأنبياء

(ب) أول مخلوق بشري

(جـ) أبو البشر

(د) الجد الأول للإنسانية

(هـ) زوج حواء

فقد اتفقت هذه الألفاظ في إشاراتها (أي في مسماها)، واختلفت في إحالاتها، أو معانيها.

## ■ 2، 1، 6 ـ الفرق بين المفهوم والماصدق

يرتبط التفريق بين المفهوم intension، والماصدق extension باسم كارناب Carnap، وهو تفريق قريب من تفريق فريجة السابق بين المسمى، والمعنى، ولذا يذكر كارناب أن تفريق فريجة هو الذي أوحى إليه به. ولعله يقصد ذكّره به، لأن المصطلحين معروفان في الفلسفتين الإغريقية، والإسلامية منذ مئات السنين. ويقصد بمفهوم اسم ما ـ كما

(15) R. Carnap, Meaning and Necessity (Chicago: The University of Chicago Press, 1956), pp. 118-119.

يذكر لاينز ـ مجموعة الخصائص البارزة التي تنطبق على ذلك الاسم. ومن أمثلتها الأوصاف «حيوان ذو قدمين بدون ريش» التي تنطبق على كل إنسان، وهي مختلفة من حيث مفهومها عن «حيوان ناطق» مثلاً، ولكنهما في الواقع الخارجي يشيران إلى نفس الأفراد؛ إذ كل «حيوان ذو قدمين بدون ريش» هو في الواقع «حيوان ناطق»، وبذلك نقول عن هذين التعبيرين أنهما مختلفان في مفهومهما، ولكنهما مترادفان في الماصدق، أي في الأفراد الذين يصدق عليهم المفهومان المذكوران.

■ 2، 1، 7 ـ مزايا نظرية الإشارة:

ساعدت المفاهيم النظرية التي قدمتها نظرية الإشارة في دراسة بعض القضايا الدلالية ذات الطبيعة المنطقية ولاسيما الترادف synonymy، والتضاد antonymy، والاندراج hyponymy، والعكس inversion، والانضواء inclusion، والتناقض، والحقول المعجمية lexical fields. وقد كان لما يعرف بعلاقات الإحالة، وعلاقات الهُوية sense حظ كبير في توضيح تلك القضايا. ويقصد بعلاقة الإحالة العلاقة بين وحدة معجمية ما، وما تحيل عليه من معنى في العالم الخارجي، كما يحيل لفظ رجل على «إنسان بالغ ذكر». أما علاقة الهوية فهي علاقة الوحدة المعجمية بغيرها من الوحدات المعجمية التي تتضمنها اللغة، إذ أن هذه العلاقة مفيدة في تمييز المفاهيم بعضها من بعض، فكلمة رجل مثلا تعني ما ليس امرأة، ولا طفل، ولا طفلة من البشر. وبذلك أعانت الوحدات المعجمية «امرأة»، و«طفل»، و«طفلة»، في تحديد مفهوم «رجل»، وقد قيل قديما «وبضدها تتميز الأشياء».

■ 2، 1، 8 ـ الانتقادات الموجهة إلى نظرية الإشارة:

تحدد نظرية الإشارة المعنى بأنه المشار إليه، أي الشيء، أو المرجع الموجود في الخارج، وقد تعرضت هذه النظرة إلى المعنى إلى عدد

من الانتقادات أهمها:

1 ـ لو كان المعنى هو المشار إليه لكانت الألفاظ المختلفة التي تشير إلى لفظ واحد (كتلك التي تشير إلى آدم عليه السلام في المثال السابق) مترادفة في معانيها، ولكن الأمر ليس كذلك.

2 ـ لو كان المعنى هو المشار إليه لكان كل ما ينطبق على المشار إليه انطبق على المعنى، فأكل التفاحة مثلا يعني أكل المعنى.

3 ـ الألفاظ المجردة كالحب، والعدل، والحروف والأدوات كعن، وإنّ ولكن، ليس لها وجود خارجي تشير إليه، ومع ذلك لا أحد ينكر أن لها معاني.

4 ـ أنه لا يمكن أن تتعدد المعاني بتعدد المراجع في العالم الخارجي؛ إذ لا يمكن أن يكون لنا من المعاني بقدر عدد التفاحات الموجودة في العالم.

## ■ 2، 2 ـ النظرية السلوكية

المدرسة السلوكية اللسانية هي امتداد للمدرسة السلوكية في علم النفس التي يتزعمها واطسن Watson، ويعد بلومفيلد Bloomfield صاحب كتاب اللغة "Language" حلقة الوصل بين المدرستين حيث اشتهر بنقل أفكار السلوكيين إلى مجال اللغة، وتطبيقها على الدراسات اللغوية[16].

وقد عرف عن السلوكيين نقدهم الشديد للعقلانيين، وتقليلهم من شأن كل الدراسات التي لا تقتصر في منهجها على السلوك الخارجي، وترى أن كل المحاولات التي تصف، أو تفسر ما يجري في دماغ الإنسان، أو في عقله إنما هي تكهنات تنقصها الموضوعية. ولذلك فلا مكان لما يعرف في نظرية الإشارة بالصورة الذهنية أو نحوها مما لا يمكن

(16) L. Bloomfield, Language (New York: Holt, Rinehart & Winston 1933).

دراسته دراسة علمية موضوعية.

وتقوم النظرية السلوكية على مفهومي المثير stimulus، والاستجابة response المعروفين في علم النفس السلوكي، ويطلق المثير (أو مثير المتكلم The Speaker's Stimulus كما يسمى في اللسانيات) على الأحداث التي تسبق الكلام، وتكون سببا في كلام المتكلم، أما الأحداث التي تلي الكلام، فتدعى استجابة السامع The Hearer Response. وهكذا يتكون الموقف الكلامي من الآتي:

(أ) الأحداث العملية السابقة لعملية الكلام

(ب) الكلام

(ج) الأحداث العملية اللاحقة للكلام(17).

ولتوضيح ذلك آثر بلومفيلد أن يذكر المثال الآتي:

لنتخيل

(أ) أن جاك، وجيل يتجولان في ممر مسيّج، وجيل جائعة، فترى تفاحة على الشجرة [المثير]

(ب) فتحدث أصواتا بحنجرتها، ولسانها، وشفتيها [الكلام]

(ج) فيتخطى جاك السياج، ويتسلق الشجرة، ويقطف التفاحة، ثم يحضرها لجيل، ويناولها إياها، فتأكلها(18). [الاستجابة]

وقد يستمر الحديث بينهما على نحو يصبح في كل كلام مثير لاستجابة كلامية أخرى. وبذلك يصبح اللفظ، أو المبنى اللغوي - linguistic form كما يحلو لبلومفيلد أن يسميه - شاملا لـ «الموقف الذي ينطق فيه

(17) Bloomfield 23: 1933.

(18) Bloomfield 22, 1933.

المتكلم ذلك المبنى، والاستجابة التي يحدثها في السامع»[19]، ويعود سبب استخدامه لمصطلح المبنى بدلا من المعنى أو الكلمة إلى اعتبارات منهجية تقوم عليها النظرية السلوكية أساسا، وتتلخص في استبعاد المعنى من الدراسات اللغوية للأسباب الآتية:

(1) صعوبة التعامل مع المعنى؛ لأن ذلك يحتاج إلى الإلمام بكل شيء في عالم المتكلم، وهو مالا يمكن الإحاطة به.

(2) اختلاف المعاني من لغة إلى أخرى، وعلى سبيل المثال فإن الحوت في الألمانية يسمى سمكا، والخفاش يسمى فأرا.

(3) اختلاف شخصيات المتكلمين، والتاريخ الثقافي لكل منهم، وخبراتهم الشخصية، الأمر الذي يصبغ المعنى بطابع شخصي، ويجعل من الصعب التنبؤ بما يقوله كل متكلم.

(4) أن التعامل مع المعنى يحتاج إلى الاستبطان introspection أي التحقق بالنظر في داخل عقل الإنسان، وهو في رأي السلوكيين منهج غير موضوعي.

### ■ 2، 2، 1 ـ مزايا النظرية السلوكية

تتبع النظرية السلوكية منهجا موضوعيا صارما يجعلها الأقرب إلى تطبيق المفهوم الدقيق للسانيات، الذي يعرف ـ كما سبق ـ بأنه الدراسة العلمية للغة، بيد أن هذه الموضوعية الصارمة تقوم على إخراج مباحث مهمة من هذا العلم، كما سنبين في الفقرة القادمة.

### ■ 2، 2، 2 ـ الانتقادات الموجهة للنظرية السلوكية

دأبت المدرسة السلوكية ـ كما رأينا ـ على استبعاد المعنى عن

(19) Bloomfield 139: 1933.

الدراسات اللغوية، ولم يكن هذا حلا علميا لمشكلة التعامل مع المعنى، ولذا فقد جلب عليهم ذلك حملة نقدية من العقلانيين، وغيرهم من أنصار التعامل مع المعنى، ومن الانتقادات التي وجهت إلى السلوكيين:

(1) يرى ناعوم تشومسكي - Noam Chomskyوهو من أشد المعترضين على السلوكيين - أن عدم الاهتمام بالأنظمة العميقة المفسرة للسلوك إنما هو «تعبير عن الافتقار إلى الاهتمام بالتنظير، والتفسير»[20] ويرى أن التمسك بالموضوعية ليس غاية في حد ذاتها، فما جدوى التعلق بها إذا لم نظفر إلا بالقليل من التبصر، والفهم[21].

(2) يذكر جون لاينز أنه «ليس هناك ارتباط بين الكلمات، والمواقف المستخدمة فيها إلى الحد الذي يمكن معه التنبؤ بحدوث كلمات معينة نتيجة لسلوك تحكمه العادة، وقابل للتنبؤ به من خلال المواقف نفسها»[22]، ويرى أن ذكر العصفور مثلا لا يرتبط بالموقف الذي نرى فيه عصفورا.

## ■ 2، 3 ـ النظرية السياقية

ترتبط النظرية السياقية contextual theory باللساني البريطاني جون روبرت فيرث ( J. R. Firthت 1960)، وتقوم هذه النظرية على النظر إلى المعنى بوصفه «وظيفة في سياق»[23]. وقد أحدثت بذلك تغيرا جوهريا في

(20) Chomsky, N., Aspects of the theory of Syntax Cambridge (Mass: the MIT Press, 1965), p.193, Note (1).

(21) Chomsky 20: 1965.

(22) Lyons, John, Language and Linguistics: An Introduction, (Cambridge: Cambridge University Press1981), pp: 5-6.

(23) C. E. Bazell, J. C. Catford, M. A. K. Halliday and R.H. Robins (eds), In Memory of J. R. Firth, (Longman, 1969), p.v.

النظر إلى المعنى من علاقة عقلية بين الحقائق، والرموز الدالة عليها - كما رسمها أوجدن وريتشاردز في مثلثهما الدلالي المشهور - إلى «مركّب من العلاقات السياقية»[24] بحسب عبارة فيرث.

وقد استخدم السياق في هذه النظرية بمفهوم واسع بحيث يشمل السياق الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي، ولا يظهر المعنى المقصود للمتكلم إلا بمراعاة الوظيفة الدلالية للألفاظ المستخدمة. وبناء على ذلك فقد فرّق فيرث بين خمس وظائف أساسية مكونة للمعنى:

(1) الوظيفة الأصواتية phonetic function،

(2) الوظيفة الصرفية morphological function،

(3) الوظيفة المعجمية lexical function،

(4) الوظيفة التركيبية syntactical function،

(5) الوظيفة الدلالية semantic function[25].

وتتحدد كل وظيفة من هذه الوظائف في إطار منهج يعرف بمنهج الإبدال method of substitution، ولا يظهر معنى العنصر اللغوي على أي مستوى من المستويات الخمسة المذكورة إلا بتميزه السياقي من مقابلاته التي يمكن أن تقع موقعه في ذلك السياق، فإذا لم يكن ثمة بديل سياقي ممكن لذلك العنصر اللغوي فلن يكون له معنى. ويمكن أن نوضح ذلك بما يعرف بنماذج الاتباع في الدراسات التراثية العربية؛ حيث لا يكون للكلمة الثانية من كلمتي الاتباع معنى؛ لأن وجودها مقصور على ذلك السياق؛ إذ ليس هناك بديل يمكن أن يحل محلها،

(24) J. R. Firth, Papers in Linguistics 1934-1951 (London: Oxford University Press, 1957), p.19.

(25) Firth 26: 1957 - 7.

فكلمة بسن في المثال الآتي المرقم بـ (1) مثلا ليس لها معنى؛ لعدم أدائها وظيفة سياقية؛ لأن الوظيفة تقتضي كونها بديلا ممكنا لغيرها من الكلمات، وهنا ليس لها بديل؛ ولذا فليس لها معنى.

(1) هذا حسن بسن.

أما في نحو (2) فإن كل عنصر من عناصرها له معنى لوجود بدائل سياقية ممكنة لها، فعلى المستوى المعجمي وقعت كلمة حضرت بديلا فعليا لمقابلات أخرى محتملة مثل غابت، نجحت، رسبت إلخ، ووردت كلمة عشر بديلا لتسع، وثمان، وإحدى عشرة إلخ، وجاءت كلمة مدرسات بديلا مقصودا لنحو طالبات، موظفات إلخ. وعلى المستوى الصرفي فقد جيء بكلمة حضر بصيغة فَعَلَ بدلا من يفعل، افعل، فاعل، مفعول إلخ؛ للدلالة على الفعل الماضي، وجيء لمدرسات بصيغة اسم الفاعل بدلا من أي صيغة أخرى ممكنة للدلالة على اسم الفاعل، وجيء بـ (ات) بدلا من (ين) مثلا للدلالة على جمع المؤنث السالم.

(2) حضرت عشر مدرسات.

وعندما تستخدم جملة ما بالفعل في مقام تخاطبي معين تتحقق وظيفتها الدلالية، وقد يغير ذلك المقام أو ما يسميه مالينوفسكي Malinowski بسياق الموقف context of situation المعنى الموضوع لها إلى معنى آخر، كأن يخرجها من معنى الخبر إلى الأمر، أو الاستفهام.

وقد فرّق جيفري إلز Jeffrey Ellis بين معاني السياقات الآنية instantial context أو الفعلية actual، ومعاني السياقات الكامنة أو المحتملة potential. فمعاني السياقات الآنية هي المفهومة من مثال معين في مكان معين، في نص معين، في مقام معين. أما المعنى السياقي المحتمل فهو كل المعاني السياقية الممكنة للوحدة اللغوية عند تجريدها من

النصوص التي تقع فيها[26]، وترتبط المعاني السياقية المجردة بالجملة، والمعاني السياقية المحتملة أو الكامنة بالقولة الكامنة، فإذا ما تحققت تلك السياقات في مقام تخاطبي معين فالناتج هو قولة فعلية.

ويقسم هاليدي Halliday العلاقات السياقية إلى علاقات داخلية تربط العناصر اللغوية بعضها ببعض، وعلاقات خارجية تربط العناصر اللغوية بما تدل عليه في الخارج، ويرى أن جميع الوحدات اللغوية تترابط إما في تقابلات مغلقة closed contrasts إذا كانت من العناصر القواعدية كما في التقابل بين صيغة الماضي، والمضارع، أو في تقابلات مفتوحة open contrasts إذا كانت من العناصر المعجمية كما في التغاير بين مدرسات، وطالبات مثلاً[27].

■ 2، 3، 1 ـ المصاحبة

نشأ عن تقليل النظرية السياقية من أهمية العلاقات الخارجية، أي علاقة العناصر اللغوية بما تحيل عليه أو تشير إليه في الخارج زيادة العناية بالعلاقات الداخلية، وقد تجسّدت هذه العناية تجسدا واضحا في ما سماه فيرث بالمصاحبة collocation، وهي «الترابط المعتاد لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة في جمل تلك اللغة»[28] وتبدو أهمية المصاحبة في كونها المحدد الأساسي لمعاني المفردات اللغوية؛ فبعض معاني كلمة شجاع مثلا يتحدد بمصاحبتها لكلمة رجل، وبعض معاني كلمة رجل تتحدد بمصاحبتها لكلمة شجاع، وبذلك أصبح مصطلح

(26) See: J. Ellis, "On Contextual Meaning". In Bazell and Others (eds). In Memory of J. R. Firth, (Longman, 1979). p.81.

(27) See: M. A. K. Halliday, "Lexis as a Linguistic Level". In Bazell and Others (eds). In Memory of J. R. Firth, (Longman, 1979). p. 160.

(28) R. H. Robins, General Linguistics: An Introductory Survey, 2nd ed, (London: Longman, 1978) p.63.

تصاحبي collocational مرادفا ـ كما يذكر لاينز ـ لمصطلح معجمي[29]. الذي ارتبط في أذهان الكثيرين بما تدل عليه الكلمة خارج اللغة.

### ■ 2، 3، 2 ـ سياق الموقف

يرى فيرث أن سياق الموقف مصطلح واسع لا يقتصر على السياقات اللغوية بل يشمل أيضا السياق الثقافي، وأقوال المتخاطبين، وغيرالمتخاطبين، وأفعالهم، وكل الأشياء المتصلة اتصالا وثيقا بالقولة المستعملة، وتأثير الحدث اللغوي، وقد ذهب جيفري إلز إلى أن مفهوم سياق الموقف كان من أهم إسهامات فيرث في نظريته السياقية[30].

ولئن كانت نظرية فيرث تعوّل معوالا كبيرا على التحققات السياقية المتوالية عبر المستويات اللغوية المختلفة ابتداء بالسياق الصوتي، ومرورا بالسياق الصرفي، والنحوي والمعجمي، وانتهاء بالسياق الدلالي، فإن سياق الموقف هو العامل الأخير، والحاسم في تحديد المعنى.

### ■ 2، 3، 3 ـ مزايا النظرية السياقية

لعل من أهم مزايا هذه النظرية موضوعيتها، وعدم خروجها عن بنية اللغة، والسياق الثقافي المحيط بها. وقد سنح منهجها السياقي الطريق للمهتمين باللغة أن يوجهوا اهتمامهم إلى العناصر اللغوية نفسها، والأنماط التي تنتظم فيها بدلا من صرف انتباههم إلى العلاقات النفسية بين اللغة، والذهن، أو اللغة، والخارج، أو إلى العمليات النفسية لتي تحدث في الدماغ.

(29) J. Lyons, "Firth's Theory of Meaning". ". In Bazell and Others (eds). In Memory of J. R. Firth, (Longman, 1979) p.295.

(30) Ellis 79: 1979.

وكذا فإن العناية بالسياق تعني مراعاة سمة من أهم السمات المتأصلة في طبيعة اللغة، وهي السمة التراكمية للعناصر اللغوية؛ إذ يتسنى للمهتمين باللغة من خلال رصد أهمية هذه السمة، وتطبيقاتها أن يكتشف الدور الذي يؤديه تسلسل العناصر اللغوية، وتفاعل بعضها مع بعض في عمليتي الفهم، والإفهام الضروريتين في عملية التخاطب اللغوي.

ومن مزايا هذه النظرية أيضا تركيزها على الجوانب الوظيفية من اللغة، التي تعد الجوانب الأهم نظرا إلى أن الوظائف اللغوية هي التي ابتكرت من أجلها اللغة البشرية بوصفها أهم وسائل الإبلاغ على الإطلاق.

### ■ 2، 3، 4 ـ الانتقادات الموجهة للنظرية السياقية

إن تعويل هذه النظرية على السياق جعلها تجنح إلى المبالغة في دور السياق في صنع المعنى إلى الحد الذي أغفلت معه الوظيفة الإحالية، والإشارية للمفردات، والجمل اللغوية حين أسقطت من حسابها ما تحيل عليه الكلمات من صور ذهنية، وما تشير إليه من حقائق خارجية على مستوى الكلمات، كما أنها تجاهلت النسبة الخارجية أو اشتراطات الصحة للجملة التي تبرز أهميتها في دراسة العلاقات بين المفردات المعجمية، وكذلك بين الجمل اللغوية، وذلك مثل الترادف، والتضمين، والعكس، والتضاد، والتناقض، ونحوها.

وبدلا من أن تقصر هذه النظرية دور السياق على المهمة الترجيحية التي تبدو في تحديد الدلالة المقصودة، وإقصاء الدلالات غير المقصودة، نراها تجعل من السياق المنبع الوحيد الذي تستقي منه العناصر اللغوية دلالاتها. فالكلمة مثلا ليست «كالماء الذي يخضع لونه للون إنائه، وإنما هي كالحرباء التي تتلوّن بلون المكان الذي تحل فيه، أي أن الكلمة أشبه بالحرباء تمتلك إمكانات معينة، كل منها يبرز في موضعه

المناسب، وليست كالماء الذي لا يملك شيئا من تلك الإمكانات، وإنما يخضع لما يفرض عليه من الخارج»[31].

## ■ 2، 4 ـ نظرية الحقول الدلالية

يقصد بالحقل الدلالي semantic field مجموعة من الكلمات المتقاربة في معانيها يجمعها صنف عام مشترك بينها. وتعنى نظرية الحقول الدلالية Theory of semantic fields بإدماج الوحدات المعجمية المشتركة في مكوناتها الدلالية في حقل دلالي واحد، وذلك نحو: أخضر، أحمر، أزرق، أسود إلخ، التي تشترك في حقل الألوان، ومثل أب، وأم، وجد، وجدة، وابن، وبنت، وأخ، وأخت إلخ، المشتركة في حقل القرابة.

ومن مزايا هذه النظرية أن لها تطبيقات في وضع المعاجم، والنقد الأدبي، والمنطق، وغيرها من المجالات.

## ■ 2، 5 ـ نظرية التحليل التكويني للمعنى

تهتم نظرية التحليل التكويني للمعنى Theory of componential analysis of meaning بتجزئة الوحدات المعجمية إلى مكوناتها الأساسية (خصائصها البارزة، أو مقوّمات ماهيتها)، فمكونات إنسان مثلا هي (+ حيوان + عاقل)، ومكونات رجل هي (+ حيوان + عاقل +ذكر + بالغ)، ومكونات امرأة هي (+ حيوان + عاقل ـ ذكر + بالغ).

ومن فوائد هذه النظرية أنها تساعد على التوصل إلى تحديد نوع العلاقة بين معاني الوحدات المعجمية (أهي ترادف، أم تضاد، أم اندراج، أم تضمن إلخ)، ودراسة علاقات المعنى دراسة علمية دقيقة، كما نجد لها

---

(31) محمد محمد يونس علي، وصف اللغة العربية، دراسة حول المعنى وظلال المعنى (طرابلس: منشورات جامعة الفاتح، 1993) ص 105 ـ 6.

تطبيقات بالغة الأهمية في مجال النحو، ولاسيما في التطابق، والإسناد.

## ■ 2، 6 ـ نظرية أفعال الكلام

تنسب نظرية أفعال الكلام إلى أوستن J. L. Austin، وقد جمعت محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفرد سنة 1955 في كتاب سمي «كيف تفعل الأشياء بالكلمات»، ثم قام جون سيرل John R. Searle، وغيره من البراغماتيين بتطوير هذه النظرية أثناء السبعينيات، والثمانينيات.

تقوم نظرية أفعال الكلام Theory of speech acts على النظر إلى اللغة على أنها أداء أعمال مختلفة في آن واحد، وما القول إلا واحد منها، فعندما يتحدث المتكلم فإنه في الواقع يخبر عن شيء، أو يصرح تصريحا ما، أو يأمر، أو ينهى، أو يلتمس، أو يَعِد، أو يشكر، أو يعتذر، أو يحذّر، أو يدعو، أو يسمي، أو يستغفر، أو يسبح، أو يمدح، أو يذم، أو يحمد الله، أو يعقد صفقة تجارية، أو يتزوج، أو يطلق، إلخ.

وتنظر نظرية أفعال الكلام إلى عملية التخاطب على أنها مخاطبة مرتبطة بموقف تعبر عنه، فالطلب يعبر عن رغبة في شيء ما، والمدح يعبر عن رضى، والشكر يعبر عن امتنان، والاعتذار يعبر عن ندم. ويقاس نجاح التخاطب ـ وفقا لهذه النظرية ـ بمدى اكتشاف المتلقي للموقف المعبر عنه من خلال فهم قصد المتكلم.

وقد قسم أوستن أفعال الكلام ثلاثة أقسام:

أ ـ الفعل اللفظي Locutionary act، ويقصد به عملية النطق بالجملة المفيدة التي تتفق مع قواعد اللغة.

ب ـ الفعل غير اللفظي illocutionary act، ويراد به الحدث الذي يقصده المتكلم بالجملة، كالأمر أو النصيحة.

جـ ـ الفعل المترتب عن النطق perlocutionary act، وهو التأثير الذي يكون للحدث اللغوي في المتلقي، كطاعة الأمر، أو الاقتناع بالنصيحة، أو تصديق المتكلم أو تكذيبه.

وقد لفتت هذه النظرية الانتباه إلى أن اللغة ليست للإخبار، ونقل الأفكار فقط، بل تؤدي أيضا وظيفة التأثير الاجتماعي في الآخرين عبر ما يعرف بصيغ العقود (أو الصيغ الإنشائية). ويميز عادة بين نوعين من هذه الصيغ: صيغ الأحكام، وصيغ الإنجاز، ومن الأولى أحكام المحكّمين، والفتاوى، ونحوها، ومن الأخرى صيغ العقود كقول المطلق لزوجته «طلّقتك»، أو «أنت طالق»، وقول من أراد أن يتزوج «قبلت» عند عقده للنكاح، وقول البائع «بعت»، والمشتري «اشتريت»، .ومنها أيضا قرارات التعيين، والنطق بالحكم بالسجن، ونحوه. ولا تكون هذه الصيغ نافذة إلا إذا صدرت من متكلم معين لمخاطب معين في زمن معين، ومكان معين، وظرف معين.

وتعنى نظرية أفعال الكلام بتصنيف أحداث الكلام إلى أنواع، كالتفريق بين أفعال الكلام المباشرة، وغير المباشرة، والوضعية والتخاطبية، والحرفية وغير الحرفية، ودراسة طرائق نجاح تلك الأفعال، وإخفاقها، وتغير معاني الجمل تبعا للسياق كتحوّل الخبر إلى إنشاء مثلا[32].

(32) للتوسع في دراسة هذه النظرية يمكن الرجوع إلى:

J. L. Austin, How to Do Things with Words (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1962),

Searle, J. (1969) Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language, Cambridge, Eng.: Cambridge University Press

Strawson, P. F., Intention and convention in speech acts', Philosophical Review (1964) 73: 439-60.

Tsohatzidis, S. L., ed., Foundations of Speech Act Theory: Philosophical and Linguistic Perspectives, London: Routledge 1994).

ومن الاختبارات التي وضعها أوستن للتمييز بين الجمل الوصفية (أو الخبرية)، والإنشائية أن المتكلم بقوله (1) مثلا لا يشغّل محرّك السيارة، وأما بقوله (2) فهو يعد، وبقوله (3) فهو يشكر إلخ.

(1) أشغّل محرك السيارة.

(2) أعدك بزيارة أخرى.

(3) أشكرك على حسن الضيافة.

ومن خصائص صيغ العقود أن ضمير الفعل الأساسي فيها (أو ما يقوم مقامه) إنما هو ضمير المتكلم عادة، وإن كانت هناك أمثلة تخرج عن هذا الأصل كما في (4).

(4) أنت طالق.

ومن التقسيمات التي جاءت بها نظرية أفعال الكلام التفريق الثلاثي بين

أ ـ الجمل الخبرية declarative sentences، التي تستعمل للإعلانات، والتصريحات، والدعاوى، وسرد القصص، ونحوها،

ب ـ والاستفهامية interrogative، التي تستخدم لطلب إجابة لفظية من المخاطب،

جـ ـ والطلبية التي تدل على رغبة المتكلم في التأثير على الأفعال المستقبلة، وتستخدم للطلبات، وإصدار الأوامر، والاقتراحات، ونحوها[33].

---

(33) Sadock and Zwicky (1985: 160)

# الفصل الثالث

## أنواع المعنى

### ■ 3. أنواع المعنى*

لعل من أفضل الدراسات التي تناولت تصنيف المعنى، وتفريعه، ومناقشة جزئياته، والأسس التي اعتمدت عليها التصنيف دراسات علماء الأصول في طرق الدلالة، ودراسات اللسانيين في المعنى، وأنواعه، ولاسيما ما تضمنه علما الدلالة، والتخاطب. وسنشرح في المباحث الآتية أنواع المعنى عند الغربيين ثم نتبعه بأنواع المعنى عند علماء الأصول.

### ■ 3، 1 ـ أنواع المعنى عند الغربيين

لم يعد النظر إلى التخاطب اللغوي في اللسانيات الحديثة على أنه

---

(*) هذا الموضوع مستمد من بحث للمؤلف نشر في مجلة أبحاث اليرموك بعنوان «تصنيف المعنى»، مج 21، ع2، 2003.

عملية مستندة إلى عناصر وضعية conventional محضة، بل أصبح من المسلم به ـ بعد ظهور علم التخاطب - pragmatics أن المخاطبين لا يمكنهم بلوغ تخاطب ناجح دون اللجوء إلى عناصر منطقية، وتخاطبية. وبذلك تطورت النظرة إلى عملية التخاطب من اقتصارها على عمليتي الفك، والتركيب للبنى الوضعية (المعجمية، والقواعدية) إلى كونها عملية استنتاجية محكومة بأصول تخاطبية تتداخل فيها ثلاثة عناصر أساسية هي المواضعات اللغوية linguistic conventions، والعمليات المنطقية logical processes، والأصول التخاطبية principles of conversation. ويرتبط كل عنصر من هذه العناصر الثلاثة بنوع معين من المعاني التي نتخاطب بها في حياتنا اليومية؛ فالمواضعات اللغوية ترتبط بالمعاني الحرفية للغة (المعاني الحقيقية مثلا)، والنسب الخارجية التي تشير إليها الجمل في الخارج، أما العمليات المنطقية فترتبط بما يعرف بدلالتي التضمن، والافتراض، وأما الأصول التخاطبية فترتبط بالمفاهيم التخاطبية (أو الاستنتاجات غير الوضعية المنطقية). ولا شك أن هذه التطورات المتمثلة في توسيع النظرة إلى عملية التخاطب على النحو المذكور سابقا تدعونا إلى إعادة النظر في مفهوم الكفاية اللغوية، والتخاطبية بحيث أصبح من المعقول الاعتقاد بأنه لا يصدق على متكلم لغة ما بأنه قادر على استخدام اللغة إلا إذا (أ) تمكن من المواضعات اللغوية (المعجمية منها، والقواعدية)، و(ب) تمتع بقدرات عقلية تمكنه من أداء العمليات المنطقية التي يحتاج إليها في استنتاج المعاني المنطقية، و(ج) ألمّ بالأصول التخاطبية التي بها يستطيع استنباط المفاهيم التخاطبية. ولعل في هذا تفسيرا لعجز الحاسوب عن أن يمتلك ناصية اللغة البشرية الطبيعية، ويتقنها على النحو الذي نراه في الجنس البشري؛ إذ الحاسوب، وغيره من الآلات المشابهة، وإن كانت له القدرة على التعامل مع المعاني الوضعية، والمنطقية، فإنه يخفق في

التعامل مع الأصول التخاطبية لصعوبة تقنينها، وطبيعتها الفلسفية، والاجتماعية المعقدة.

### ■ 3، 1، 1 ـ أنواع المعنى عند قرايس

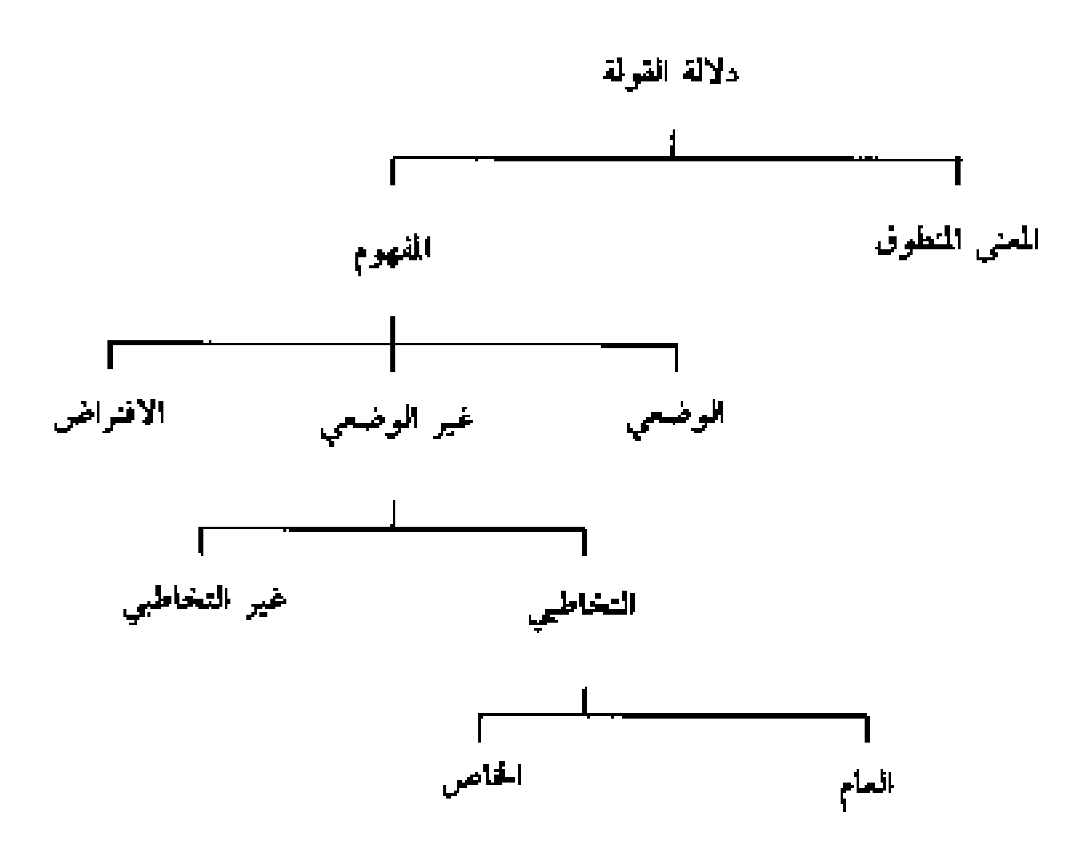
يتسم تصنيف المعنى عند بول قرايس بشيء من الغموض، فترك ذلك صداه في المحاولات التي قام بها اللسانيون لرسم مشجر لهذا التصنيف، ولعل من أبرز المحاولات في ذلك محاولتي روبرت هارنيش Robert M. Harnish[34] (انظر شكل (1))، وجيرولد صادك Jerrold M. Sadock[35] (انظر شكل (2)).

ويتميز مشجر صادك بأنه أقرب لتوضيح ما عرضه قرايس بالفعل عن أنواع المعنى، وإن لم يوضح موضع المعنى المنطقي في تصنيف قرايس. ومهما يكن من أمر فقد اتفق المشجران على تقسيم المعنى إلى منطوق، ومفهوم، وتفريع المفهوم إلى وضعي، وغير وضعي، وتفريع غير الوضعي إلى تخاطبي، وغيره، وتفريع المفهوم التخاطبي إلى عام، وخاص. ولئن لم يشر قرايس إلى ما أشار إليه هارنيش، وصادك في مشجريهما بالمفهوم غير الوضعي غير التخاطبي فإن القسمة المنطقية تقتضي ذلك لاستقصاء كل الاحتمالات الممكنة. وربما كان الخط المستقطع الذي يشير إلى هذا النوع من المفهوم في مشجر هارنيش يقصد به الإيماء إلى كون هذا المفهوم احتماليا وليس حقيقيا. وسنتحدث في المباحث القادمة عن كل نوع من أنواع المعنى عند بول قرايس.

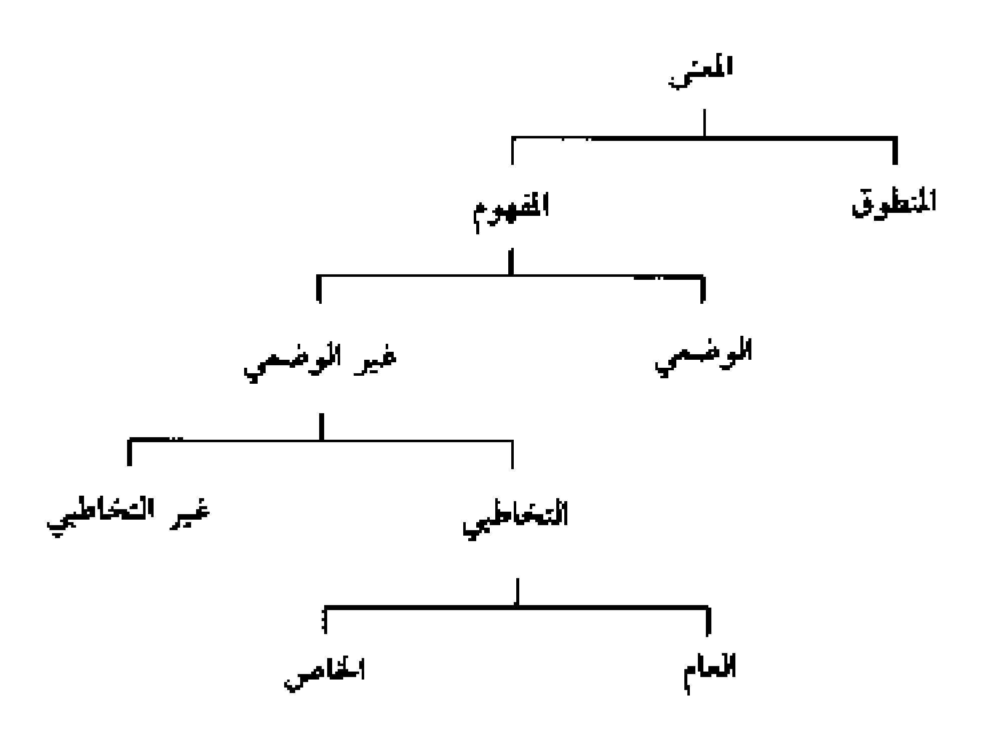
(34) Robert Harnish, "Logical Form and Implicature". In Steven Davis (ed.), Pragmatics: A Reader (New York: Oxford University Press, 1991), p. 325.

(35) Jerrold M. Sadock, "On testing for Conversational Implicature". In Steven Davis (ed.), Pragmatics: A Reader (New York: Oxford University Press, 1991), p. 366.

شكل (1)
مشجر هارنيش لتصنيف قرايس للمعنى




شكل (2)
تشجير صادُك لتصنيف قرايس للمعنى



### ■ 3، 1، 1، 1 ـ المعنى الوضعي (أو المنطوق)

يفرق بول قرايس Paul Grice بين نوعين أساسيين من المعنى: المنطوق، والمفهوم، ويقصد بالمنطوق (أو المعنى الوضعي للجملة) محتواها الدلالي الذي يشمل مجموع المعاني القواعدية (الصرفية، والنحوية)، والمعاني المعجمية التي تتضمنها، والتي يشير مجموعها إلى النسبة الخارجية (الموجودة خارج الذهن). كما يشمل أيضا تحديد الأوقات، والمراجع التي تحيل عليها التعبيرات المشيرة[36]. وقد درج اللسانيون إلى مساواة معنى الجملة الوضعي بنسبتها الخارجية أو اشتراط صحتها its truth condition كما يعرف في اللسانيات. ويمكن أن يمثل لذلك بـ (1) التي لا يمكن أن تكون صادقة إلا إذا كانت لبريطانيا ملكة، وكانت من أثرى سيدات العالم. وهذا المعنى يفهم من مجموع المعاني القواعدية، والمعجمية التي تتضمنها الجملة، ولا يحتاج استنباطه إلى استدلالات منطقية، ولا اعتماد على أصول تخاطبية.

(1) ملكة بريطانيا من أثرى سيدات العالم.

ويتسم المعنى الوضعي كما يذكر قراندي Grundy بعدم قبوله للإلغاء أو الإبطال دون الوقوع في تناقض[37]، إذ لا يمكن أن نضيف على الجملة السابقة العبارة (2) مثلا دون أن نقع في تناقض بين (1)، و (2).

(2) ولكنها فقيرة.

وإذا ما أُقِرّ معيار قبول الإلغاء هذا لاكتشاف المعنى الوضعي، فسيصبح كلٌّ من التضمن، والافتراض داخلين في تعريف المعنى الوضعي،

---

(36) Harnish (1991: 326).

(37) Peter Grundy, Doing Pragmatics (London: Edward Arnold, 1995), p. 82.

ويبدو هذا ما ذهب إليه معظم الأصوليين عندما أقروا بأن دلالة التضمن من قبيل المعنى الوضعي، وإن خالف في ذلك الرازي، وأتباعه[38]. وذلك لأن التضمن، والافتراض أيضا لا يقبلان الإلغاء كما سنبين في موضع الحديث عنهما.

وهكذا فإن ما يقصده قرايس بالمنطوق what is said إنما هو المحتوى المنطقي للقولة اللغوية أو النسبة الخارجية the truth condition التي تشير إليها في الخارج. وكل ما يخرج عن هذه النسبة فهو داخل في المفهوم implicature. ومن الواضح أن تعريف المفهوم عنده إنما هو تعريف سلبي يشمل مجموعة غير متناغمة من المعاني لا يجمع بينها غير كونها لا تدخل في المنطوق[39].

ويرتبط تفريق قرايس بين المنطوق، والمفهوم كما يذكر هورن Horn بالتفريق التقليدي بين صيغة الجملة المرتبطة بنسبتها الخارجية، ومحتواها الذي لا يرتبط بنسبتها الخارجية[40]. ومن ناحية أخرى يرتبط التفريق بين المنطوق، والمفهوم كذلك بين علم الدلالة semantics، وعلم التخاطب pragmatics، فبينما ينتمي الأول إلى الدلالة يندرج الآخر في إطار التخاطب.

وقد قدم قرايس بعض المعايير التي تميز المفهوم التخاطبي conversational implicature بوضوح من التضمن entailment، ونحوه من المعاني المنطقية، والوضعية يمكن تلخيصها في الآتي:

(38) فخر الدين الرازي، المحصول في علم أصول الفقه (بيروت: دار الكتب العلمية، 1988) 1: 58. وانظر ايضا .Yunis Ali 156, 2000

(39) Sadock (1991: 365).

(40) L. R, Horn "Presupposition and Implicature". In: Lappin, S.: The Handbook of Contemporary Semantic Theory (Oxford: Blackwell, 1996), P.312.

(أ) أن المفهوم التخاطبي يحتاج إلى تأمّل worked out[41] تحكمه أصول التعاون Cooperative Principles.

(ب) أنه قابل للإلغاء cancelability أو للإبطال[42] defeasible، وهو يعني أنه من الممكن إبطاله، كما في (3) التي ينشأ عنها المفهوم (4) حيث يمكن إبطاله أو إلغاؤه كما في (5)، خلافا للتضمن الذي لا يمكن فيه ذلك دون الوقوع في تناقض صريح كما في (6) التي تتضمن ضرورة (7)؛ ولذا لا يمكن إلغاء ما تتضمنه بقولنا (8) إلا بالوقوع في تناقض بين (6)، و(7).

(3) أحمد يملك سيّارتين.

(4) أحمد يملك سيارتين فقط لا غير.

(5) أحمد يملك سيارتين، لا بل ثلاث.

(6) قابيل قتل هابيل.

(7) هابيل مات.

(8) قابيل قتل هابيل، ولكن هابيل لم يمت.

(جـ) أنه غير قابل للانفكاك non-detachability[43]، ويقصد به أن تغيير صيغة القولة لفظا مع عدم المساس بالمعنى لا يؤدي إلى إلغاء المفهوم التخاطبي؛ لارتباطه بالمعنى، وليس باللفظ؛ فأي تغيير في القولة (9) إلى أي من مرادفاتها الممكنة لا يؤول إلى إلغاء مفهومها في (10)[44].

---

(41) H. P. Grice, "Logic and Conversation", In Steven Davis (ed.), Pragmatics: A Reader (New York: Oxford University Press, 1991).

(42) Grice (1991: 314-15).

(43) Grice (1991: 315).

(44) Grice (1991: 307).

(9) في الغنم السائمة زكاة.

(10) ليس في الغنم المعلوفة زكاة.

(د) أنه ليس جزءا من الصيغة المنطوقة، أي أنه ليس وضعيا؛ ولذا فإن المنطوق قد يكون صادقا، والمفهوم كاذبا[45].

(هـ) أنه لا يستمد من المنطوق بل من الطريقة التي نطق بها[46].

(و) أنه ظني الدلالة indeterminate[47].

ويمكن أن نضيف إلى ذلك

(ز) قابلية التأكيد reinforceability، ويقصد بها إمكان تأكيد المفهوم الذي يفهم من قولة ما دون الوقوع في الحشو. ويمكن أن يمثل لذلك بـ (11) التي يفهم منها (12) حيث أضيف إليها المؤكد «لا في المعلوفة» في (13) دون أن تكون الإضافة حشوا، خلافا للتضمن الذي لا يكون تأكيده إلا حشوا كما إذا ما أكدنا (15) المفهومة بدلالة التضمن من (14) بقولنا (16)، فيؤدي ذلك إلى حشو جلي غير مقبول.

(11) في الغنم السائمة زكاة.

(12) ليس في الغنم المعلوفة زكاة.

(13) في الغنم السائمة، لا في المعلوفة، زكاة.

(14) قتل قابيل هابيل.

(15) مات هابيل.

(16) فمات هابيل.

---

(45) Grice (1991: 315).

(46) Grice (1991: 315).

(47) Sadock (1991: 367).

### ■ 3، 1، 1، 2 ـ المعنى المنطقي

يشمل المعنى المنطقي implication نوعين من المعاني هما التضمن، والافتراض.

### ■ 3، 1، 1، 2، 1 ـ التضمن

يصدق على قضية ما (ق) أنها تتضمن أخرى (ك) إذا كان الحال أنه كلما كانت ق صادقة كانت ك بالضرورة صادقة. فالتضمن entailment إذن علاقة بين جملتين ق، و ك؛ حيث ق تتضمن ك إذا كان صدق ك تابعا ضرورة لصدق ق. تأمل ـ على سبيل المثال ـ (17)، و (18) حيث ق (17) تتضمن ك (18) بحيث كلما كانت (17) صادقة كانت (18) صادقة. أما إذا كانت ق كاذبة ـ بأن لم ير المتكلم كلبا ـ فلا يشترط أن تكون ك كذلك بل قد تكون ك صادقة إذا رأى المتكلم حيوانا آخر أو كاذبة إن لم ير حيوانا على الإطلاق.

(17) رأيت كلبا.

(18) رأيت حيوانا.

### ■ 3، 1، 1، 2، 2 ـ الافتراض

الافتراض presupposition هو علاقة بين جملتين ق، و ك حيث ق (19) تفترض ك (20) إذا كانت ك صادقة سواء أكانت ق صادقة (كما في (19)) أم كاذبة (كما في (21)).

(19) ـ توقف سليم عن التدخين

(20) سليم دخّن

(21) لم يتوقف سليم عن التدخين

والافتراض مفهوم يختلط كثيرا بمفهوم التضمن حتى عرفه بعضهم بأنه

«تضمن لا يتأثر بالنفي» "an entailment that survives negation"[48] وهذا يعني أن كلا من (19)، و(21) (على الرغم من أن الثانية منهما تنفي أولاهما) تفترض أن سليما كان قد دخّن.

وعلى الرغم من أنني لم أعثر على تعليل ـ فيما قرأت من كتب اللسانيين ـ لظاهرة نجاة الافتراض من النفي، وتأثر التضمن به، فالظاهر أن السبب هو أنه في الافتراض تتكوّن (22) مثلا من (23)، و(24) على نحو تبدو فيه الأولى سابقة زمانيا، ومنطقيا للثانية بحيث يستلزم إثبات الثانية إثبات الأولى؛ لأن اللاحق لا يتحقق إلا بإثبات السابق، ولكن لا يؤدي نفي الثانية كما في (25) إلى إلغاء الأولى (23)؛ لأنه قد يثبت السابق دون وقوع لاحق.

(22) علي توقف عن التدخين

(23) علي دخن.

(24) علي توقف عن التدخين.

(25) علي لم يتوقف عن التدخين.

أما في حالة التضمن فإن الأولى (27) ليست سابقة، ولا لاحقة للثانية (28)، إذ الرتبة بينهما غير واردة، بل العلاقة بينهما علاقة خاص بعام، ونفي الخاص كما في (29) لا يستلزم نفي العام (30)، لأن عدم رؤية الكلب لا تنفي انعدام رؤية حيوان آخر، فقد يكون المتكلم قد رأى قطة أو نحوها، أما في حال الإثبات فقد تأثرت؛ لأن إثبات الخاص (27) يستلزم إثبات العام (28)، فرؤية الكلب يستلزم بالضرورة رؤية الحيوان.

(26) رأيت كلبا.

---

(48) Grundy (1995: 82).

(27) رأيت كلبا.

(28) رأيت حيوانا.

(29) لم أر كلبا.

(30) لم أر حيوانا.

### ■ 3، 1، 1، 3 ـ المفهوم

يقسم قرايس المفهوم إلى نوعين مفهوم وضعي conventional implicature، ومفهوم تخاطبي conversational implicature.

### ■ 3، 1، 1، 3، 1 ـ المفهوم الوضعي

يسمى هذا النوع من المعنى مفهوما تمييزا له من المنطوق، ويوصف بأنه وضعي تمييزا له من المفهوم التخاطبي الذي سنتحدث عنه في المبحث القادم. ويقصد بالمفهوم الوضعي «كل ما تدل عليه القولة بصيغتها، ولكنه لا يندرج في النسبة الخارجية التي تشير إليها»[49] حتى يحسب من المنطوق. ومن أمثلة المفهوم الوضعي ما يستنبط من القولة (31) التي يتحدد صحة منطوقها بصحة نسبتها الخارجية (أي المعنى الذي تشير إليه في الواقع الخارجي، وهو كونه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقيرا، وأمينا، أو لا)، وهي في ذلك مرادفة للقولة (32)، أما الاستدراك الذي تدل عليه «لكن» فليس له صلة بمنطوق القولة بل بمفهومها الوضعي.

(31) كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقيرا، ولكنه أمين.

(32) كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقيرا، وأمينا.

---

(49) Sadock (1991: 366).

وهكذا فإن (31) دلت على معنى لا يدخل في النسبة الخارجية، ولكنه مفهوم من بعض العناصر اللغوية المنطوقة التي تؤلف جزءا من صيغة الجملة، وهو العنصر «لكن» الدال على الاستدراك.

وطبقا لقرايس فإن السبب في عدم عدّ هذا المعنى من قبيل المنطوق أن من يستخدم (33) لم يُلزم نفسه بأنه قال: إن كون المتحدث عنه إنجليزيا يستلزم أن يكون شجاعا، وإن كان ذلك مفهوما من كلامه.

(33) ـ إنه إنجليزي، فهو إذن شجاع(50).

ولعل من أهم خصائص المفهوم الوضعي التي تميزه من المفهوم التخاطبي أنه لا يفسر في ضوء ما يعرف بأصول التخاطب maxims of conversation(51). بل إن معناه مفهوم بغض النظر عن السياق الذي قيل فيه، وأما كونه مفهوما، وليس منطوقا فلكونه لا يندرج في النسبة الخارجية للقولة التي يفهم منها، كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ومن يدقق في الأمثلة التي ذكرها قرايس، وغيره يلحظ أنه مرتبط ببعض الأدوات، أو حروف المعاني، أي أنه يرتبط بالمعنى الوضعي للأدوات.

### ■ 3، 1، 1، 3، 2 ـ المفهوم التخاطبي

يقصد بالمفهوم التخاطبي conversational implicature كل ما يستنتج من قولة ما ـ علاوة على النسبة الخارجية التي تشير إليها ـ بالاعتماد على أصول التخاطب، وليس بالرجوع إلى المعاني الوضعية، أو الاستنتاجات المنطقية. ويقوم المفهوم التخاطبي على افتراض مفاده أن إسهامات المتخاطبين مترابطة بعضها ببعض، ومحكومة بما يعرف بأصول التعاون maxims of cooperation التي تقتضي أن كلا من

(50) Grice (1991: 307).

(51) The Concise Oxford Dictionary of Linguistics, Oxford University Press, 1997.

المتكلم، وسامعه يسعيان إلى بلوغ تخاطب ناجح، ولتحقيق ذلك يؤدي كل منهما مهمته وفقا لتلك الأسس. وقد صاغ الفيلسوف اللساني بول قرايس تلك الأسس على النحو الآتي:

1 ـ مبدأ الكمّ maxim of quantity:

(أ) تكلّم على قدر الحاجة فقط (القدر الذي يضمن تحقيق الغرض من التخاطب).

(ب) لا تتجاوز بإفادتك القدر المطلوب.

2 ـ مبدأ الكيف maxim of quality:

(أ) لا تقل ما تعتقد كذبه.

(ب) لا تقل ما يعوزك فيه دليل بيّن.

3 ـ مبدأ الأسلوب maxim of manner

(أ) تجنب إبهام التعبير.

(ب) تجنب اللبس

(جـ) أوجز كلامك (تجنب الإطناب الزائد).

(د) ليكن كلامك مرتبا.

4 ـ مبدأ المناسبة maxim of relation:

ليكن كلامك مناسبا لسياق الحال (be relevant)[52].

وتبدو أهمية هذه الأسس في أن المتلقي يفترض أن المتكلم يتبعها، ولذا فإن استنتاجاته مبنية على هذا الافتراض. فإذا قال المتكلم القولة

(52) Grice (1991: 307-9). See also "Logic and Conversation", in Peter Cole and Jerry L. Morgan (eds.), Syntax and Semantics 3: Speech acts (New York: Academic Press, 1975), pp. 41-68.

(34) فسيستنتج المخاطب ـ بناء على مبدأ الكم ـ أن ليلى لم تأكل كل الخبيز. وذلك لأنه لو كان المقصود هو أن ليلى أكلت كل الخبيز لصرح المتكلم بذلك لأنه ملزم ـ بحكم مبدأ الكم ـ أن يتكلم على قدر الحاجة التي تفي بالغرض من المحادثة.

(34) أكلت ليلى بعض الخبيز.

(35) لم تأكل ليلى كل الخبيز.

وهكذا فإن المفهوم التخاطبي (35) لم يفهم من المعاني الوضعية للجملة (34)؛ إذ ليس في هذه الجملة من المعاني المعجمية، أو القواعدية، أو التركيبية، أوالأسلوبية ما يمكن أن يعزى إليه ذلك المفهوم، كما أنه ليس استنتاجا منطقيا من (34) لأنه ليس تضمنا، أو افتراضا تشتمل عليه، بل هو استنتاج مستمد من أصول التعاون التي تحكم عملية التخاطب، وعلى وجه التحديد فهو قضية يستلزمها اتباع مبدأ الكم.

وكما نلحظ هنا فإن المفهوم الوضعي (وكذلك المعنى الوضعي) يختلف بوضوح عن المفهوم التخاطبي في كون الأول اعتباطيا ( أي أن العلاقة فيه بين اللفظ، والمعنى ليست ذاتية، ولا منطقية بل هي عشوائية لا تخضع إلا للمواضعات اللغوية التي تعارف عليها أهل اللغة)، في حين أن استنباط الثاني من القولة إنما يكون بالقيام بعمليات عقلية[53].

وعلى الرغم مما سبق تبقى الحدود واضحة إلى حد كبير بين المفهوم التخاطبي، والمعنى المنطقي، والمعنى الوضعي، وقد ذكر تشومسكي

(53) See Deirdre Wilson and Dan Sperber, "Inference and Implicature" in Steven Davis, Pragmatics: A Reader (New York: Oxford University Press 1991) p. 378.

مثالا جمع فيه بين الافتراض، والمفهوم التخاطبي، والمعنى الوضعي، وهو القولة (36) حيث يفترض قائلها أن لديه خمسة أطفال، وتدل بمفهومها على أن ثلاثة من أطفاله ليسوا في المدرسة الابتدائية، وتدل بمعناها الوضعي على أن اثنين من أطفاله الخمسة في المرحلة الابتدائية:

(36) اثنان من أطفالي الخمسة في المدرسة الابتدائية[54].

## ■ 3، 1، 1، 3، 2، 1 ـ المفهوم التخاطبي العام والمفهوم التخاطبي الخاص

إن الفرق الأساسي بين المفهوم التخاطبي العام generalized conversational implicature، والمفهوم التخاطبي الخاص particularized conversational implicature أن الأول يستنبط بمعزل عن السياق في حين لا يستنبط الثاني إلا بالاستعانة بالسياق. وخلافا للمفهوم التخاطبي الخاص الذي تُعدُّ كل أمثلة المفهوم التخاطبي المذكورة سابقا أمثلة له، فإنه من الصعب ـ كما يذكر قرايس ـ العثور على أمثلة ليست محل نزاع للمفهوم التخاطبي العام، وذلك لالتباسه بالمفهوم الوضعي. ومن الأمثلة القليلة التي ذكرها قرايس للمفهوم التخاطبي العام ما جاء في (37)؛ إذ كل من يستخدم هذه الجملة يفهم منه عادة أن المرأة التي قوبلت إنما هي امرأة أخرى أجنبية عنه، أي أنها ليست زوجته، ولا أمه، ولا أخته إلخ. وكذا فإن من يستمع إلى (38) يتبادر إلى ذهنه أن المنزل ليس منزله. وينبغي ألا نقفز هنا إلى استنتاج أن الأمر يرتبط بقواعد وضعية كأن يقال إن التفريق بين التنكير، والتعريف على أساس

(54) N., Chomsky, "Some Empirical Issues in the Theory of Transformational Grammar" In S. Peters (ed.), Goals of Linguistic Theory. (Englewood Cliffs, N.J: Prentice-Hall. 1972), p. 112.

أن الأول يفيد العموم، والثاني يفيد الخصوص قد يكون حاسما في تحديد المراد، وذلك لأن ثمة أمثلة أخرى عكسية، كما في مثال قرايس المذكور في القولة (39) التي تدل عادة على أن الإصبع التي كسرها إنما هي إصبعه، وربما كان من الأوضح لو وضعنا كلمة «سنا» بدلا من «إصبعا».

(37) سعيد يقابل امرأة هذا المساء.

(38) سالم دخل منزلا فوجد سلحفاة في الباب الأمامي.

(39) كسرت إصبعا أمس[55].

وختاما للحديث عن التفريق بين المنطوق، والمفهوم بأنواعه المختلفة يجدر بنا أن نشير إلى أن هذا التفريق محل نظر بين اللسانيين، وفلاسفة اللغة، ولم يحظ بالتسليم المطلق، وإن وجد قبولا لدى معظم المهتمين بهذا المجال. ومن أشهر المعارضين لهذا التفريق سبربر Sperber، وويلسون Wilson اللذان صرحا بأن تفريق قرايس بين ما ينطق what is said، وما يفهم what is implicated تفريق غير سليم[56]. ومن الانتقادات التي وجهها سبيربر، وويلسون لهذا التفريق حكمها على كل جوانب المعنى التي تخرج عن تحديد المراجع reference assignment (التي تحيل عليها ألفاظ الإشارة، والضمائر، والظروف المكانية، والزمانية، ونحوها من التعبيرات الإشارية)، وعن الترجيح السياقي contextual disambiguation بأنها من قبيل المفهوم، وذهبا إلى القول بأن

(55) See Grice (1991: 314).

(56) D. Wilson. and D. Sperber: "On Grice's theory of conversation.". In: P. Werth (Ed.): Conversation and Discourse. (London: Croom Helm, 1981), See also D. Sperber & D. Wilson: "Mutual knowledge and relevance in theories of comprehension." In: N.V. Smith (Ed.): Mutual Knowledge. (London: Academic Press, 1982), 61 - 85.

بعض مما عده قرايس من المفهوم هو في الواقع من قبيل المعنى غير الصريح، وأطلقا عليه مصطلح «المنطوق غير الصريح explicature» الذي قصراه على ما كان ناشئا عن صيغة منطقية ضمن تركيبة القولة[57]. ويريان أنه بدلا من التفريق بين المنطوق الصريح، والمفهوم الضمني - كما فعل قرايس - فالأولى أن يميز - بين القضية التي يجمع فيها المتكلم بين التعبير الصريح، والتعبير غير الصريح، والاستنباطات المختلفة المستنتجة منها[58]. وقد آل هذا عند أتباع نظرية المناسبة إلى التفريق بين ما عرف بـ المنطوق غير الصريح explicature، والمفهوم implicature[59].

والظاهر أن هذا التفريق أقرب إلى طريقة ابن الحاجب الذي ضيق معنى المفهوم، وأخرج المنطوق غير الصريح منه على نحو يتسم بالدقة، والوضوح، ويتميز فيه المفهوم من غيره من المعاني كما سنوضح في المبحث الآتي.

## ■ 3، 2 ـ أنواع المعنى عند علماء أصول الفقه

لعل علماء اصول الفقه الإسلامي هم أول من اهتم بتصنيف المعنى، وتفريعه، والتفريق بين أنواعه المختلفة؛ ولذا كان من المناسب أن نختار أحد أبرز المحاولات التي صنفت المعنى أصنافا مختلفة؛ لتكون نموذجا يمثل وجهة نظر الأصوليين في تقسيم المعنى، وهي محاولة ابن الحاجب.

---

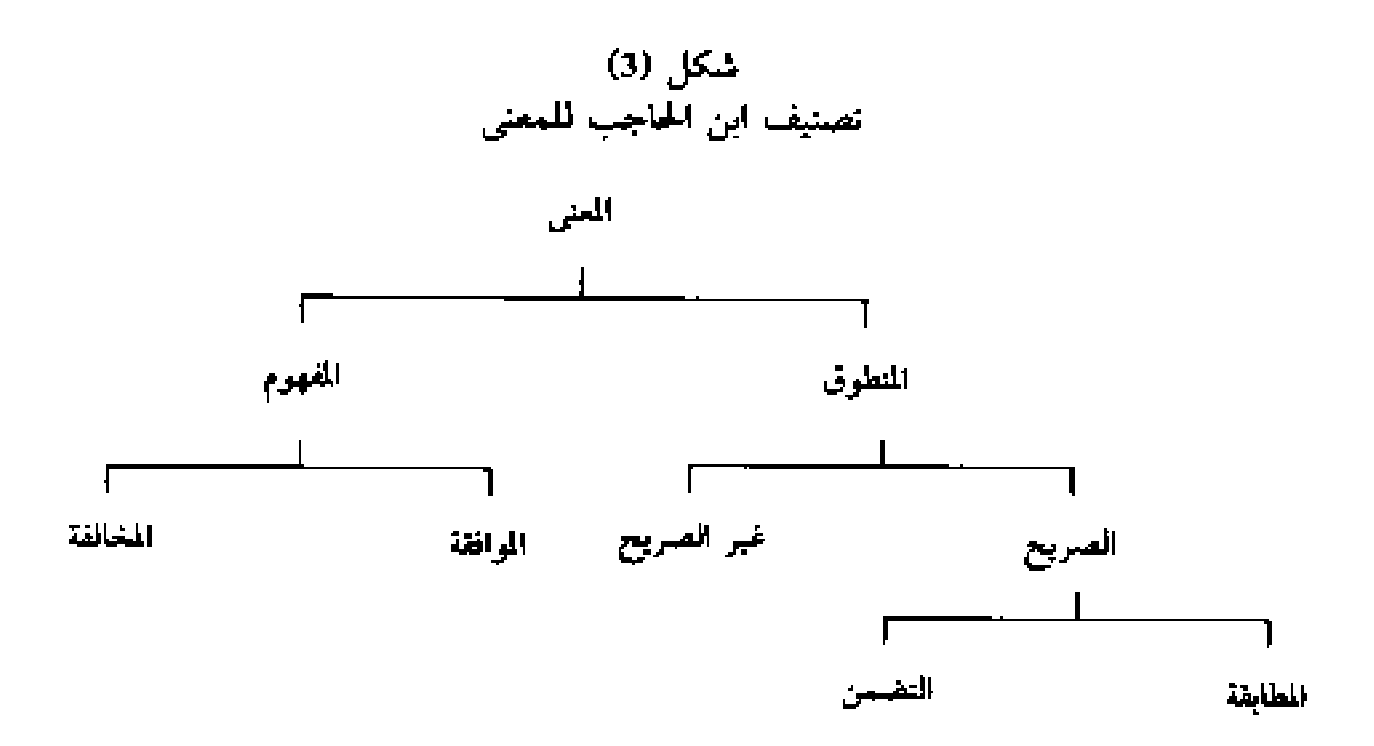
(57) Sperber, D. and Wilson, D, Relevance: Communcation and cognition. (Oxford : Blackwell., 1986), p.182.

(58) Dan Sperber and Deidre Wilson, "Irony and the use-mention distinction". In Peter Cole (ed), Radical Pragmatics, pp 295-318. (New York: Academic Press, 1981) P.159.

(59) Diane. Blakemore, Understanding Utterances: An Introduction to Pragmatics (Oxford: Blackwell Publishers, 1992), p. 57f.

## ■ 3، 2، 1 ـ أنواع المعنى عند ابن الحاجب

شكل (3)
تصنيف ابن الحاجب للمعنى




يرى ابن الحاجب أن كل المعاني تدخل في نطاق المنطوق الصريح أو غير الصريح إلا مفهومي الموافقة، والمخالفة، فهما يدخلان في نطاق المفهوم. ويقصد بالمنطوق الصريح المعنى الوضعي الذي يشمل دلالتي المطابقة، والتضمن. أما المنطوق غير الصريح فيقتصر على ضرب من دلالة الالتزام، تلك التي لا توافق، ولا تخالف معنى المنطوق، فإن دلت على أحد هذين المعنيين فهي من قبيل المفهوم، ولا تعد من المنطوق، ومن هنا يمكن استنتاج أن بعض اللوازم يدخل في دلالة المفهوم، وهو ما وافق أو خالف المنطوق، وبعضها يدخل في المنطوق غير الصريح، وهو ما لم ينطبق عليه هذا الشرط. وما ذهب إليه ابن الحاجب في قصره المفهوم على مفهومي الموافقة، والمخالفة مخالف للرأي المشهور عند علماء أصول الفقه. وهذه النقطة ينبغي الوقوف عندها لأنها هي التي تميز بوضوح رأي ابن الحاجب من رأي بول قرايس، وغيره من اللسانيين حيث يقدم ابن الحاجب معيارا دقيقا

للتفريق بين المنطوق، والمفهوم يبدو أنه مأخوذ من إمام الحرمين الجويني (ت 478 هـ، 1085 م)[60].

■ 3، 2، 1، 1 ـ المنطوق

يشمل المنطوق كما تقدم نوعين: المنطوق الصريح، والمنطوق غير الصريح.

■ 3، 2، 1، 1، 1 ـ المنطوق الصريح

يقول ابن الحاجب: «الدلالة منطوق، وهو ما دل عليه اللفظ في محل النطق، والمفهوم بخلافه أي لا في محل النطق»[61]، أي عندما يتعلق الأمر بحكم المذكور كما في «الغنم السائمة» في (40) التي يفهم من منطوقها وجوب الزكاة في الغنم السائمة، فإن الدلالة دلالة منطوق لأنها تعلقت بشيء مذكور.

(40) في الغنم السائمة زكاة.

أما إذا بحثنا في حكم ما لم يذكر، ولكنه فهم من الكلام بوصفه موافقا لحكم المذكور كما في (41ب) أو مخالفا لحكم المذكور كما في (42ب)، فإن الأمر حينئذ يتعلق بدلالة المفهوم، الذي ينقسم إلى مفهوم موافقة كما في (41)، ومفهوم مخالفة كما في (42).

(41) أ ـ «فلا تقل لهما أف»[62].

(60) إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، البرهان في أصول الفقه، تحقيق عبد العظيم الديب (قطر: 1299 هـ) 1: 448 ـ 453.

(61) ابن الحاجب، مختصر المنتهى الأصولي، ط2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1983)، 2: 171.

(62) سورة الإسراء، 17: 23.

ب ـ لا تضربهما.

(42) أ ـ في الغنم السائمة زكاة.

ب ـ ليس في الغنم المعلوفة زكاة.

■ 3، 2، 1، 1، 1، 1 ـ دلالة المطابقة

وكما تقدم فإن دلالة المنطوق ـ عند ابن الحاجب ـ تشمل دلالتي المطابقة، والتضمن، ويقصد بالمطابقة أن يدل اللفظ وضعا على كمال المسمى، كأن يدل لفظ رجل على الإنسان البالغ الذكر (إنسان + بالغ + ذكر)، ولم يختلف علماء التراث في كون هذه الدلالة وضعية بل يتفقون في أن الوضع كان لها، وهي عادة المقصودة عند الإطلاق، فإذا قيل دلالة الجملة أو الكلمة دون أن يضاف قيد على ذلك، فإن المقصود بذلك دلالة المطابقة. وهذا النوع من الدلالة هو الذي تتعلق به النسبة الخارجية، التي تتيح لنا أن نحكم على الجملة (الإخبارية) بأنها صادقة أو كاذبة. فإذا قيل «نجح خالد» فإن الجملة لا تكون صادقة إلا إذا كان خالد قد نجح في الواقع الخارجي.

■ 3، 2، 1، 1، 1، 2 ـ التضمن

يقصد بالتضمن أن يدل اللفظ على جزء من معناه، كأن يدل لفظ رجل على واحد من «إنسان» أو «بالغ» أو «ذكر»، وهي دلالة منطقية مهمة قد لا يدرك أهميتها كثير من الناس حتى بعض المتخصصين في حقول اللغة منهم. وتبدو أهميتها في أنه لا يمكن أن يصدق على متكلم بأنه يتقن لغة من اللغات ما لم تكن له القدرة على فهمها، وإفهامها في عمليات التخاطب، وليس بالضرورة أن يكون عالما بالمصطلح أو مدركا للقضايا النظرية، والعلمية المتعلقة بها، والدليل على أن كل متكلمي اللغة يدركون هذا النوع من الدلالة أنه لا يتوقع من عاقل أن

ينفي وجود إنسان في الدار إذا كان فيها رجل. ومن القواعد الأساسية التي يطبقها متكلمو اللغة، وتندرج في دلالة التضمن:

(أ) إثبات الخاص يستلزم ضرورة إثبات العام، فاستخدام الجملة (43) يستلزم بالضرورة (44)

(43) جاء رجل

(44) جاء إنسان

(ب) إثبات العام لا يستلزم ضرورة إثبات الخاص، ولا نفيه، فاستخدام (44) لا يستلزم إثبات (43) لأن الإنسان قد يكون امرأة أو طفلا أو طفلة، ولا نفيه؛ لأنه قد يكون الجائي رجلا.

(ج) نفي الخاص لا يستلزم ضرورة نفي العام، ولا إثباته، فاستخدام (45) لا يستلزم (46)، و لا (47).

(45) ليس في الدار رجل

(46) ليس في الدار إنسان

(47) في الدار إنسان

(د) نفي العام يستلزم ضرورة نفي الخاص

فاستخدام (46) يستلزم ضرورة (45).

وقد اختلف علماء الأصول في إدراج دلالة التضمن تحت الدلالة الوضعية، فمنهم من يرى أنها وضعية لفظية، ومنهم من يرى أنها عقلية، وممن قالوا بالرأي الأول سيف الدين الآمدي، وابن الحاجب، وممن ذهب إلى الثاني الغزالي، والرازي.

■ **3، 2، 1، 1، 2 ـ المنطوق غير الصريح**

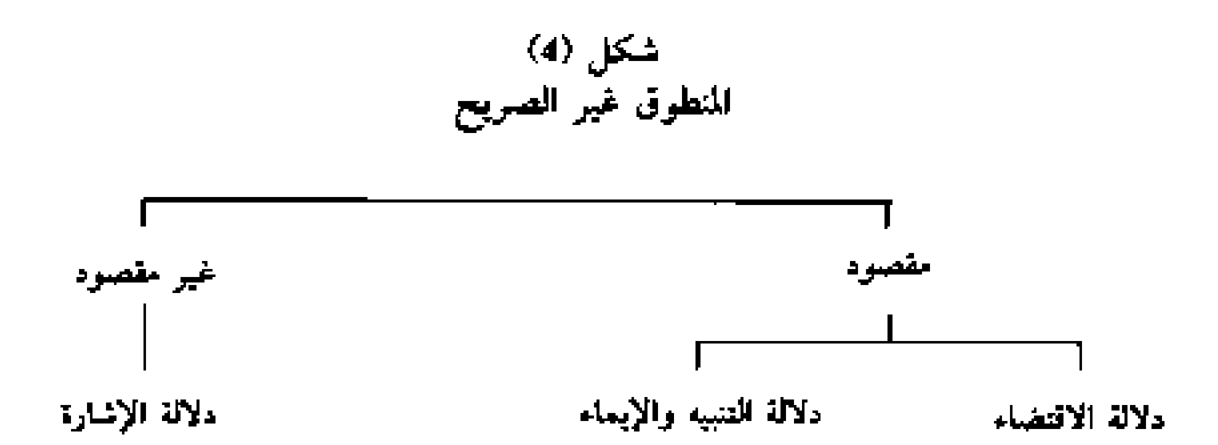
لقد قسم ابن الحاجب المنطوق إلى صريح «وهو ما وضع اللفظ له»،

وغير صريح «وهو ما يلزم عنه»[63]. وقد أدخل في الثاني: (أ) دلالة الاقتضاء، و(ب) دلالة التنبيه، والإيماء، و(ج) دلالة الإشارة.

ويفهم من تعريفه للمنطوق غير الصريح أنه يشمل كل استنتاج يستمد من الدلالة الالتزامية للفظ باستثناء مفهومي الموافقة، والمخالفة لكونهما يتناولان حكم ما لم يذكر كما أشرنا.

إن النقطة التي تستحق الاهتمام في تصنيف ابن الحاجب هي سبب عدم إدراجه الدلالات (أ)، و(ب)، و(ج) المذكورة سابقا في دلالة المفهوم، ولكي نقف على ذلك ينبغي أن ننظر في مقصوده من كل واحد من هذه الدلالات.

**شكل (4)**
**المنطوق غير الصريح**




**■ 3، 2، 1، 1، 2، 1 ـ الاقتضاء**

ويقصد بها المنطوق غير الصريح الذي يتوقف على تقديره صدق المتكلم أو الصحة العقلية أو الشرعية، ففي (48) يظهر أن عدم تقدير كلام محذوف من الكلام يترتب عليه كذب المتكلم، وهو أمر لا يتفق مع مبدأ الصدق الذي هو أصل من أصول التخاطب التي لا يحصل

(63) ابن الحاجب، 2: 171.

تخاطب ناجح دون افتراضه.

(48) «رفع عن أمتي الخطأ، والنسيان»[64].

والمقدر هنا هو ما يقتضيه المقام من نحو «المؤاخذة» أو «الإثم» حتى يكون التقدير «رفع عن أمتي إثم الخطأ، والنسيان» أو نحو ذلك كي يستقيم الكلام.

أما في (49) فإن الصحة العقلية تقتضي تقدير كلمة «أهل» أو نحوها قبل كلمة «القرية» كي يستقيم الكلام.

(49) «واسأل القرية»[65]

وكذا فإن العتق في (50) يقتضي سبق ملكية المتكلم للرقيق كي يتسنى له عتقه.

(50) والله لأعتقن هذا العبد.

وبعض الأصوليين، ومنهم شهاب الدين القرافي (ت 684 هـ ـ 1285م) يفرقون بين المثالين الأولين (48)، و(49)، والمثال الأخير(50)؛ فيجعلون (48)، و(49) إضمارا، و(50) اقتضاء. والفرق بين الاقتضاء، والإضمار ـ كما يفهم من القرافي ـ أن عدم التقدير في الإضمار يصيّر

(64) من الرواة الذين أخرجوا هذا الحديث، ابن ماجه، والبيهقي، وقد ورد في سنن ابن ماجه في كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي بصيغة «إن الله وضع الله عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه». وأخرجه البيهقي في باب ما جاء في طلاق المكره بالصيغة الآتية: «إن الله تجاوز لي عن أمتي ...» (حديث رقم 15472) وفي رواية أخرى «وضع الله عن أمتي ...» (حديث رقم 15474). ينظر:
أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي بن ماجه، السنن، (جمعية المكنز الإسلامي: 2000م)، ص 287.
أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1996)، 11: 262 ـ 3.

(65) سورة يوسف: 12: 82.

اللفظ مجازا، أما عدم التقدير في الاقتضاء فلا يصح معه اللفظ لا حقيقة، ولا مجازا.

وهكذا قُيِّد الاقتضاء عند القرافي ليقتصر على «دلالة اللفظ التزاما على ما هو شرط في المنطوق كان بإضمار أم لا، ولا يوجب مجازا في اللفظ»[66] ويبدو أن التفريق بين الاقتضاء، والإضمار على النحو الذي أوضحه القرافي ضروري، وبناء عليه يمكن القول: إن الاقتضاء داخل في مفهوم الافتراض كما عرفه الغربيون، وليس في دلالة المفهوم. والدليل على صحة إدراج الاقتضاء تحت الافتراض أن نفي الجملة التي تشتمل على الاقتضاء (كما هو عند القرافي) لا يترتب عليه إلغاء الاقتضاء فيها، وهذه هي العلامة المميزة للافتراض، إذ أن نفي (51) كما هو متجسد في (52) لا يترتب عليه إلغاء (53).

(51) والله لأعتقن هذا العبد.

(52) والله لن أعتق هذا العبد.

(53) العبد ملك لي.

**■ 3، 2، 1، 1، 2، 2 ـ التنبيه والإيماء**

دلالة التنبيه والإيماء نوع من الدلالة الالتزامية مقصودة للمتكلم، ومقترنة بحكم «لو لم يكن هو أو نظيره للتعليل كان بعيدا»[67]، أي أنها تنبني على ربط غير صريح بين حكم، وصفة على نحو يومئ إلى أن الصفة علة للحكم. فبدلا من أن يقول الشارع إن سبب الحكم هو

(66) شهاب الدين القرافي، نفائس الأصول في شرح المحصول، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط2 (الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1997)، 2: 647.

(67) ابن الحاجب، 2: 234.

كذا، وكذا أو يستخدم أحد الحروف التي وضعت للتعليل كما في قوله تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»[68] (حيث استخدم لام التعليل لبيان أن علة الخلق إنما هو عبادة الله) يأتي بتركيبة لغوية توحي بوجود علاقة سببية بين حكم، وصفة. ومن ذلك ما فهم من الحوار الذي حدث بين الإعرابي، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث بادر الإعرابي بقوله (54أ) فأمره ـ ص ـ بأن يعتق رقبة، فدل ذلك على أن الوقاع علة للإعتاق. فالحكم هنا هو الإعتاق، والصفة هي المواقعة، وقد وردا بصيغة توحي بسببية المواقعة للإعتاق، «وذلك لأن عرض الإعرابي واقعته عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لبيان حكمها، وذكر الحكم جواب له لتحصيل غرضه»[69].

(54) (أ)«واقعت أهلي في نهار رمضان»

(ب)«أعتق رقبة»

ومن الواضح أن الأصل التخاطبي المعتمد عليه هنا في استنباط دلالة التنبيه والإيماء هو المناسبة، أي مناسبة الكلام للسياق.

■ 3، 2، 1، 1، 2، 3 ـ الإشارة

يرى ابن الحاجب أن دلالة الإشارة هي نوع من الدلالة الالتزامية، ولكنها غير مقصودة للمتكلم، وهو ما يخرجها عن «المفهوم» عند قرايس الذي يرى أن كل المفاهيم مقصودة من المتكلمين[70]. ومن أمثلة هذا النوع من الدلالة ما يفهم من الجمع بين قوله ـ تعالى ـ :

---

(68) سورة الذاريات، 51: 56.

(69) عضد الملة والدين، شرح مختصر المنتهى الأصولي لابن الحاجب، ط2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1983)، 1983، 2: 234 ـ 235.

(70) Levinson (1983: .116).

(55) «وحمله وفصاله ثلاثون شهرا»[71]

وقوله ـ تعالى ـ :

(56) «وفصاله في عامين»[72]

الذي يؤدي إلى استنتاج أن

(57) أقل مدة الحمل ستة أشهر

ومن دلالة الإشارة أيضا قوله ـ تعالى ـ :

(58) «وأحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم»[73]

الذي يفهم منه أن

(59) الإصباح جنبا جائز.

■ 3، 2، 1، 2 ـ المفهوم

تقدم أن المفهوم هو ما يقابل المنطوق، وينقسم قسمين: مفهوم الموافقة، ومفهوم المخالفة.

■ 3، 2، 1، 2، 1 ـ مفهوم الموافقة

يقصد ابن الحاجب بمفهوم الموافقة «أن يكون المسكوت موافقا في الحكم»[74] للمنطوق، فالنهي عن قول «أف» في (60) يستلزم (61)، لأن العقل يدل على أن الضرب أشد أذى من قول «أف».

(60) «فلا تقل لهما أف»[75].

---

(71) سورة الأحقاف، 46 :15.
(72) سورة لقمان، 31 :14.
(73) سورة البقرة، 2 :187.
(74) ابن الحاجب، 2: 172.
(75) سورة الإسراء، 17 :23.

(61) لا تضربهما.

ويشمل مفهوم الموافقة نوعين:

(أ) التنبيه بالأدنى على الأعلى، كما في المثال السابق، وكما في الآية (62) التي تدل على (63)، لأنه إذا كان من عمل مقدار ذرة فسيراه، فإن رؤية من عمل أكثر من ذلك من باب الأولى.

(62) «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره»[76].

(63) من يعمل أكثر من ذرة خيرا يره (من باب أولى).

(ب) التنبيه بالأعلى على الأدنى، كما في (64) التي تستلزم (65) من باب أولى.

(64) «ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك»[77].

(65) ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بأقل من قنطار يؤده إليك (من باب أولى).

ولعله من البيّن في مفهوم الموافقة أن القياس الاستدلالي يؤدي وظيفة فاعلة في استنباطه، وهو ما يؤكد رأي ويلسون، وسبربر (السابق في 1، 3، 4) في أهمية الاستدلال في استنباط المفاهيم التخاطبية.

### ■ 3، 2، 1، 2، 2 ـ مفهوم المخالفة

عرف ابن الحاجب مفهوم المخالفة بأنه «أن يكون المسكوت عنه مخالفا»[78] أي «مخالفا للمذكور في الحكم إثباتا، ونفيا»[79]، فإذا

(76) سورة الزلزلة: 99: 7.
(77) سورة آل عمران: 3: 75.
(78) ابن الحاجب، 2: 173.
(79) عضد الملة والدين، 2: 173.

وجبت الزكاة في السائمة بحكم منطوق (66أ)، تقرر عدم وجوبها في المعلوفة بحكم (66ب) الذي هو مفهوم (66أ).

(66) أ ـ في الغنم السائمة زكاة.

ب ـ ليس في الغنم المعلوفة زكاة

وهكذا فإن حكم المسكوت عنه (وهو الغنم المعلوفة في المثال السابق) ينبغي أن يخالف المذكور (وهو الغنم السائمة في المثال السابق).

ويشمل مفهوم المخالفة أنواعا مختلفة سنكتفي بذكر بعضها باختصار:

1 ـ مفهوم الصفة، وقد سبق التمثيل له في (66).

2 ـ مفهوم الشرط، ومن أمثلته قوله تعالى:

(67) «وإن كنّ أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهنّ»[80]

فقد اشترط في الإنفاق عليهن كونهن حوامل، وهو ما يقتضي ـ بحكم مفهوم المخالفة ـ أن أجل غير الحوامل مخالف لذلك.

3 ـ مفهوم الغاية، ومنه قوله تعالى:

(68) «فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره»[81]

حيث يفهم منه أن المطلقة ثلاثا إذا نكحت زوجا غيره تحل، ويفهم من المثال السابق (67) أن الوضع هو غاية عدة الحوامل، فلا ينفق عليهن بعدها.

(80) سورة الطلاق، 65 :6.

(81) سورة البقرة، 2 :230.

4 ـ مفهوم العدد، ومنه قوله تعالى:

(69) «فاجلدوهم ثمانين جلدة»[82]

الذي يفهم منه أن ما زاد عن الثمانين غير واجب.

5 ـ مفهوم الاستثناء، ومن أمثلته:

(70) لا إله إلا الله.

منطوقه نفي ألوهية غير الله، ومفهومه أن الله إله.

وقد اختلفت دراسة ما عرف عند الأصوليين بمفهوم المخالفة عن دراسته عند اللسانيين الغربيين الذين ناقشوا معظم أنواعه تحت مسمى المفهوم التدرجي scalar implicature، والظاهر أن تسمية الأصوليين جاءت من كون حكمه مخالفا لحكم المنطوق أو المذكور في حين جاءت تسمية الغربيين من كون المفهوم جزءا من مفهوم افتراضي أعم تناول المنطوق جزءا منه، وسكت المتكلم عن الجزء الآخر، وكأنه بذلك تدرج من حكم العام إلى حكم الخاص، ليومئ إلى دلالةٍ ما تتعلق بالمسكوت عنه، وهكذا اعتنى الأصوليون بالمخالفة بين المنطوق، والمسكوت عنه، واهتم الغربيون بالتدرج في الانتقال من العام إلى الخاص.

(82) سورة النور، 24 :4.



# الفصل الرابع

## مشكلات المعنى

### ■ 4 . مشكلات المعنى

يجمع هذا البحث ثلاثة موضوعات دلالية مختلفة هي الاشتراك، والأضداد، والترادف، ووجه تسميتها بمشكلات المعنى هو أن الأصل أن يدل كل لفظ على معنى واحد، وأن يكون للمعنى الواحد لفظ واحد يدل عليه. فإذا تعدد المعنى، واتحد اللفظ (كما هو الحال في الاشتراك، والأضداد)، أو العكس (كما هو الحال في الترادف)، فذلك يعني أننا أمام مشكلة من مشكلات المعنى التي سنعالجها في المباحث الآتية.

### ■ 4، 1 ـ المشترك اللفظي

تعد ظاهرة المشترك اللفظي (مثلها في ذلك مثل الترادف) مشكلة من المشاكل الدلالية (كما تقدم)، لكونها تسير خلافا للوضع المثالي للغة

الذي يقتضي أن يكون للفظ الواحد معنى واحد، وللمعنى الواحد لفظ واحد. وسنشرح فيما سيأتي آراء كل من علماء أصول الفقه، واللسانيين الغربيين، ولغويي التراث في ظاهرة المشترك اللفظي.

### ■ 4، 1، 1 ـ المشترك عند علماء أصول الفقه الإسلامي

يفرق الأصوليون عادة بين ثلاثة مصطلحات تتعلق بالمشترك اللفظي: المشترك، والمنقول، والمستعار. فالمشترك وفقا للغزالي هو ما «وضع بالوضع الأول مشتركا للمعنيين لا على أنه استحقه أحد المسميين، ثم نقل عنه إلى غيره»[83] أي أنه اللفظ الموضوع لمعنيين على التساوي في الاستحقاق، دون أن يكون أحد المعنيين بأولى من الآخر في ارتباطه بذلك اللفظ. ومن أمثلته لفظ «العين» الذي يدل على ينبوع الماء، والدينار، وقرص الشمس دون أن يكون هناك صلة واضحة بين هذه المعاني الثلاثة تدعو إلى القول بأن اللفظ وضع لأحدها ثم نقل إلى الآخرين أو إلى أحدهما بحكم علاقة تجمع بينها. فكل واحد من هذه المعاني الثلاثة يستحق لفظ العين على التساوي.

أما المنقول فهو الاسم المنقول عن موضوعه الأول «إلى معنى، ويجعل اسما ثابتا دائما، ويستعمل أيضا في الأول فيصير مشتركا بينهما»[84] أي أنه لفظ نقل عن مسماه إلى مسمى آخر على سبيل الثبات لعلاقة بينهما، ثم استخدم في المعنيين معا. ومن أمثلته «الصلاة»، و«الحج» حيث دل الأول بالوضع على مطلق الدعاء، ثم نقل للدلالة على هيئة الصلاة الإسلامية المخصوصة، ودل الثاني بالوضع على القصد ثم نقل إلى هيئة الحج الإسلامي المخصوص (المؤلف من إحرام، وطواف، وسعي، ووقوف بعرفة). وعلى الرغم

---

(83) الغزالي، معيار العلم، ص 56 ـ 7.
(84) الغزالي، معيار العلم، ص 56.

من دلالة المنقول على المعنين فإن أحدهما أكثر استحقاقا له من الآخر بحكم كونه وضع له، فالصلاة وضعت للدعاء ثم نقلت إلى الصلاة الإسلامية المعروفة، والحج، وضع للقصد ثم نقل إلى هيئة الحج الإسلامي.

وأما المستعار فهو الاسم المنقول مؤقتا إلى غير ما وضع له لعلاقة بينهما. وقد عرفه الغزالي بأنه «أن يكون اسم دالا على ذات الشيء بالوضع، ودائما من أول الوضع إلى الآن، ولكن يلقب به في بعض الأحوال لا على الدوام شيء آخر لمناسبته للأول على وجه من وجوه المناسبات من غير أن يجعل ذاتيا للثاني، وثابتا عليه، ومنقولا إليه»[85]. ومن أمثلته لفظ «أُم» الذي وضع للوالدة، ثم استعير للأرض، فقيل أم البشر، والجناح الذي وضع للعضو الذي يساعد الطائر على الطيران، ثم استعير للذل في قوله تعالى: «واخفض لهما جناح الذل من الرحمة» ( ). ومنه أيضا «رأس المال، وجه النهار، عين الماء، حاجب الشمس، أنف الجبل»[86].

وكما هو واضح فإن الفرق بين المشترك من جهة، والمنقول، والمستعار من جهة أخرى هو أن المشترك لا وجود لعلاقة بين معنييه (أو معانيه)، أي أن كلا معنييه حقيقة، في حين أن معنيي (أو معاني) المنقول، والمستعار يرتبطان بعلاقة مجازية. أما الفرق بين المنقول، والمستعار فهو أن النقل ثابت في المنقول، ومؤقت في المستعار.

### ■ 4، 1، 2 ـ المشترك عند الغربيين

بينما يميز الأصوليون بين ثلاثة أنواع من المشترك ـ كما تقدم في

(85) الغزالي، معيار العلم، ص 56.

(86) الغزالي، معيار العلم، ص 57 ـ 8.

المبحث السابق ـ يفرق اللسانيون الغربيون بين نوعين فقط هما التماثل اللفظي homonymy، والتعدد المعنوي polysemy. فالأول هو المعادل للمشترك عند الأصوليين حيث يكون للفظ الواحد معنيان لم يكن أحدهما ناشئا عن تطور في استخدام اللفظ، وقد سميت هذه الظاهرة بالتماثل اللفظي لأنهم يفترضون أن ثمة لفظين وضع كل منهما لمعنى، ولكن صادف أن كان اللفظان متماثلين، ولذا فإنهما يعطيان مدخلين مختلفين في المعجم، ولا يعاملان معاملة العجمة lexeme الواحدة. ويمثل للتماثل اللفظي بنحو bank1 بمعنى مصرف، وbank2 بمعنى ضفة النهر؛ إذ لا علاقة بين المعنيين، ومن أمثلته في العربية كلمة خال التي تطلق على أخي الأم، وعلى الحبة السوداء في الخد، وعلى لواء الجيش. أما الثاني فيطلق على «الحالات التي تتعدد فيها مدلولات الكلمة الواحدة»[87] كما في كلمة رقبة neck التي تعني جزءا من الجسم، وجزءا من الثوب، وجزءا من الزجاجة، وشقة ضيقة من الأرض»[88] ومن الواضح أن كل هذه المعاني متقاربة تجمع بينها علاقات مجازية.

والمعيار الذي ينبغي أن يراعى دائما في التفريق بين التماثل اللفظي، والتعدد المعنوي هو التقارب المعنوي relatedness of meaning. فإذا تقاربت معاني اللفظ الواحد فإن الكلمة الدالة على تلك المعاني تعد من قبيل المشترك المتعدد المعنى polysemous. وإذا انقطعت معاني اللفظ بعضها عن بعض، فالكلمة من المشترك المتماثل اللفظ homonymous.

(87) أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص114.

(88) Lyons, Language, p147.

### ■ 4، 1، 3 ـ المشترك عند لغويي العربية

يطلق لغويو العربية القدماء مصطلح المشترك اللفظي على كل أنواع اللفظ الذي يدل على أكثر من معنى، سواء أتقاربت معانيه أم اختلفت. ويترتب على ذلك أن كل معاني كلمات «عين» الموجودة في المعاجم تعد من قبيل المشترك، وتعطى مدخلا معجميا واحدا في المعاجم سواء تلك التي تقاربت معانيها مثل الجاسوس، والعضو الباصر، وفم القربة، أو تلك التي ليس لها صلة بهذه المعاني مثل الاعوجاج في الميزان، والمطر الذي يجيء، ولا يقلع أياما، والسحابة التي تأتي من جهة القبلة.

والظاهر أن علماء الأصول تفوقوا على اللغويين القدماء في البحث في المشترك اللفظي بتفريقه الدقيق بين المشترك، والمنقول، وهو تفريق يدعو ـ كما سبق ذكره ـ إلى ضرورة إعطاء مداخل معجمية للمشترك اللفظي الحقيقي تبعا لعدد المعاني التي يدل عليها في حين يكتفى بمدخل معجمي واحد للمنقول. أما المستعار فلا يدوّن عادة في المعاجم إلا إذا أصبح من الاستعارات الميتة، وبذلك يصبح من المنقول.

### ■ 4، 1، 4 ـ أسباب وقوع المشترك اللفظي

يرجع اللغويون وقوع المشترك إلى أسباب جغرافية، وتاريخية نلخصها فيما يأتي:

أولا: الأسباب جغرافية: يذكر أبو علي الفارسي أن تداخل اللغات (يقصد اللهجات العربية) سبب من أسباب وقوع الاشتراك في العربية، وينفي أن يقع في لهجة واحدة.

ثانيا: الأسباب التاريخية: لعل أشهر من علل ظاهرة الاشتراك على

أساسي تطور صوتي هو اللغوي إبراهيم أنيس، فقد حاول أن يفسر كلمات مثل «السغب» (في دلالتها على الوسخ، والدرن، وكذلك القحط، والجوع) بالقول إنها «تطورت في لهجة من اللهجات، ولظرف من الظروف الخاصة، حتى أصبحت (التغب) من المشترك اللفظي» مستأنسا في ذلك بما تفعله بعض القبائل اليمنية حين تقلب السين تاء، كما في قولهم «النات» بدلا من «الناس». ثم «جاء جامعو المعاجم، ونسبوا معنيين مختلفين لكلمة (التغب)، وعدوها من المشترك اللفظي»[89].

وبغض النظر عما إذا كان إبراهيم أنيس قد وفق، أو أخفق في معرفة السبب الحقيقي الذي جعل كلمة السغب»، ونحوها من المشتركات اللفظية، فإن المنهج الذي اتبعه في الوصول إلى ذلك إنما هو منهج تأثيلي غير موضوعي يعتمد على الحس الشخصي، ولا يشركه فيه المختصون في اللغة.

ويذكر بعض اللغويين، ومنهم أبو علي الفارسي أن المجاز أحد أسباب وقوع المشترك اللفظي، وهذا رأي غير مقبول إذا سلمنا بالتفريق بين المشترك، والمنقول، لأن المعاني المجازية التي يرتبط بها اللفظ إنما نشأن عن تطوره، والتوسع فيها فنقل اللفظ إليها، وليست بأي حال مما تساوت فيه المعاني في استحقاق اللفظ كما أوضحنا.

## ■ 4، 2 ـ الأضداد

يقصد بالأضداد ألفاظ المشترك اللفظي التي تدل على معنيين متضادين. وبذلك يكون مبحث الأضداد فرعا عن مبحث المشترك اللفظي. ومن أمثلته إطلاق الجون على اللونين الأبيض، والأسود.

(89) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص201.

ومما يلحظ في دراسة القدماء للأضداد:

1 ـ أنه يكفي في عد الكلمة من الأضداد دلالتها على معنيين متضادين سواء اتفقت اشتقاقاتها أم اختلفت؛ ولذا عد كل من الأصمعي، وابن السكيت، والسجستاني، والصغاني كلمة «قانع» (في دلالتها على السائل، وعلى الراضي بما قسم له) من الأضداد على الرغم من اختلاف متصرفاتها؛ فالقانع بمعنى الراضي مشتقة من قنِع يقنَع على وزن شرب يشرب، ومصدرها قناعة، وقنْعا، وقنعانا، أما القانع التي تعني السائل فهي من قنَع يقنَع كصنع يصنع، ومصدرها لا يأتي إلا على وزن فُعول. وقد كان لأبي الطيب اللغوي رأي آخر حيث أخرج أمثال هذه الكلمة من الأضداد، وكأنه عدها كلمتين مختلفتين، وليس كلمة واحدة، وقد صرح بأن شرط الأضداد «أن تكون الكلمة الواحدة تنبئ عن معنيين متضادين، من غير تغيير يدخل عليها، ولا اختلاف في تصرفها».

2 ـ أن قسما من اللغويين لم يراع في دراسة ظاهرة الأضداد كونها مبحثا من مباحث الدلالة المعجمية، فأدخل في الأضداد ما نشأ عن اتفاق الصيغة الصرفية، كما فعل أبو حاتم في ما هو على صيغة مفتعِل، ومفتعَل من المعتل العين الواوي، واليائي، ومن المضاعف، وذلك نحو المختار، والمزدان، والمعتاض، والمقتال، والمعتد، والمنقاد، وقد أخرج أبو الطيب هذا النوع من الأضداد، ولكنه أدخل فيها نحو الحالق (لمن يحلق شعر غيره، ولمن حلق له)، ولعله محق في ذلك؛ لأن المختار، ونحوه من قبيل المشترك القواعدي، أي أن الاشتراك فيه ناشئ عن اتفاق في الصيغة الصرفية، وليس عن اتفاق في المعنى المعجمي، أما الحالق، ونحوه فهو من المشترك المعجمي (أي اللفظي) لأن دلالته على المعنيين دلالة وضعية سماعية ترتبط بالمعنى المعجمي، ولا تعود لأسباب صوتية صرفية.

2 ـ أن بعضهم أدخل في الأضداد ألفاظ تدل على معنى مشترك بين الضدين، وليس على معنيين متضادين، كما في القرء في إطلاقه على الطهر، والحيض، وهو في الحقيقة يدل على الوقت المشترك بينهما.

## ■ 4، 2، 1 ـ أسباب وقوع الأضداد

يمكن تلخيص أسباب وقوع الأضداد في الآتي:

1 ـ تداخل اللهجات: وقد عوّل لغويو العربية كثيرا على هذا العامل حتى نفى بعضهم ـ كما يذكر السيوطي ـ وقوعه في اللهجة الواحدة[90]، وقد خالف أبو بكر بن دريد في ذلك، وذهب إلى أنه لا يعد من الأضداد إلا ما كان في اللهجة الواحدة منكرا أن تكون كلمة «الشَّعْب» في إطلاقها على الاجتماع، والافتراق من الأضداد لأنها تنتمي إلى لهجتين مختلفتين[91].

2 ـ التفاؤل: ومن ذلك ما ذكره ثعلب حيث قال: «من الأضداد مفازة مفعلة من فوز الرجل إذا مات، ومفازة من الفوز على جنس التفاؤل السليم»[92].

3 ـ التطير: يقول ابن منظور صاحب لسان العرب: «وإنما سمي اللديغ سليما لأنهم تطيروا من اللديغ، فقلبوا المعنى، كما قالوا للحبشي أبو البيضاء، وكما قالوا للفلاة مفازة، تفاءلوا بالفوز، وهي مهلكة»[93]. ومن الواضح أن هذا السبب، وما قبله متماثلان في واقع الأمر، والاختلاف إنما هو في وجهة النظر المراعاة. فقد راعى ثعلب الإقبال على استخدام مفازة بدلا من مهلكة على

(90) المزهر: 1 :104.
(91) المزهر: 1 :396.
(92) المزهر: 1 :393.
(93) ابن منظور، معجم لسان العرب: (سلم).

سبيل التفاؤل، في حين اهتم ابن منظور بالانصراف عن استخدام مهلكة على سبيل التطير، والنتيجة واحدة كما هو بيّن.

4 ـ التهكم: ومنه إطلاق «المُغلّب على المغلوب مرارا، وهو في الأصل للمحكوم له بالغلبة[94].

5 ـ التأدب: ومنه إطلاق البصير على الأعمى[95].

ومن الواضح أن المعاني الأصلية لكلمات الأضداد ناشئة عن الوضع، وأن المعاني الطارئة ناشئة عن الاستعمال، وضروراته الاجتماعية كالتفاؤل، والتأدب، والتهكم.

## ■ 4، 3 ـ الترادف

يمكن القول تسامحا: إنه إذا كان الاشتراك علاقة بين معنيين اتحد لفظهما، فإن الترادف علاقة بين لفظين اتحد معنياهما. ويتوقف الحكم على كلمتين بأنهما مترادفتان في معنى ما أو لا على نوع المعنى؛ إذ قد تكون الكلمتان مترادفتين في نوع ما من المعنى، ومختلفتين في نوع آخر. فالصارم، والهندي في قول الشاعر:

في حامل الصارم الهندي منتصراضع السلاح قد استغنيت بالكحل

صفتان للسيف، وهما مترادفتان في الذات (أي في الإشارة إلى السيف الذي يحمله الغلام المتحدث عنه)، ومتباينتان في الصفة؛ لأن الصارم يعني القاطع أو الحاد، والهندي يعني أنه منسوب إلى الهند.

وقد عرف فخر الدين الرازي المترادفات بأنها «الألفاظ المفردة الدالة

(94) ينظر أضداد الأصمعي: 53.

(95) ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 205 ـ 6. وإبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 208 وما بعدها.

على شيء واحد باعتبار واحد»[96]، وقد أخرج بقوله «المفردة» العلاقة بين الشيء، وتعريفه، لأن لكل كلمة في اللغة حدا، وتعريفا، وأخرج بقوله: «باعتبار واحد» العلاقة بين مترادفين باعتبارين كالصارم، والهندي. وذكر كل من الشريف الجرجاني[97]، والشوكاني[98] تعريفا مشابها.

## ■ 4، 3، 1 ـ الخلاف في وجود الترادف في اللغة

ذهب بعض اللغويين قديما، وحديثا إلى إنكار وجود الترادف في اللغة، منهم ابن الأعرابي، وثعلب، وابن فارس، والمبرد، وأبو هلال العسكري، ومن الأسباب التي ذكرت لذلك أن المترادفات غير مفيدة «وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد»[99] وفسروا ما يرى فيه ترادفا على أنه «من لغتين متباينتين» أو أن المعنيين مختلفان، أو أنه من قبيل «تشبيه شيء بشيء»[100].

وقد أول بعض منكري الترادف ما ورد من المترادفات بالتماس فروق دقيقة بينها، كالتفريق بين الاسم، والصفة كما تقدم، وبالغوا أحيانا في تكلف بعض الفروق، ومن ذلك تعسفهم في القول بأن الإنسان، والبشر من المتباينات، وليس من المترادفات؛ لأن «الأول موضوع له باعتبار النسيان، أو باعتبار أنه يؤنس، أو باعتبار أنه بادي البشرة»[101] ولا يخفى ما في هذا من تكلف، وتمحل؛ إذ لو كانت هذه الفروق ملحوظة لراعاها متكلمو اللغة في استخدامهم للكلمتين. ومن تعسفات

(96) المزهر: 1: 402.
(97) التعريفات، 31.
(98) إرشاد الفحول، ص18.
(99) العسكري، الفروق في اللغة، ص 13.
(100) 0 المزهر: 1: 385.
(101) شرح الجلال شمس الدين المحلي على متن جمع الجوامع بحاشية البناني، 1: 294.

منكري الترادف في اصطياد فروق بين المترادفات ذهابهم إلى القول بأن جلس وقعد متباينان؛ لأن الأول يكون عن اضطجاع، والثاني عن قيام، ولكن المتأمل في كلمة «المجلس الواردة في القرآن الكريم، وفي كل ما ورد من «جلس» و«قعد» ومشتقاتهما في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ليلحظ أن ما قيل عن الفرق بين الكلمتين لا يخرج عن التكلف والمبالغة، على أنه ينبغي ألا يفهم من تعليقنا هذا نفي الترادف بين الكلمتين، بل كل ما قُصد هو نفي التفريق بينهما على النحو المذكور، أما وجود فروق معنوية ناشئة عن اختلاف توزيعهما السياقي، فهو أمر واضح من خلال النظر في الآيات التي وردت فيها مشتقات «قعد»، ومنها «تقعد»، واقعدوا»، و«القاعدين»، و«مقعد»..؛ إذ لا يمكن إحلال مثيلات هذه الكلمات من مقابلاتها المشتقة من «جلس».

■ **4، 3، 2 ـ أنواع الترادف**

يبدو أن تقسيم الترادف تبعا لتقسيم المعنى مفيد منهجيا في اكتشاف أنواعه، واستقصائها، ومناقشتها، ولذا سنصنف المعنى إلى الأصناف الآتية:

■ **4، 3، 2، 1 ـ الترادف الإشاري**

يقصد بالترادف الإشاري اتفاق لفظين (أو أكثر) في المشار إليه، ومنه أوصافه ـ صلى الله عليه وسلم ـ المختار، والبشير، ونحوهما التي تشير جميعها إلى ذاته ـ ص ـ، وتختلف في معانيها الإحالية، ولذا فإذا نزعت هذه الألفاظ عن سياقيهما الثقافي، والعقدي، فقد تستخدم للإشارة إلى غيره عليه السلام، لأن معناها الإحالي يسمح من الناحية اللغوية بإطلاقها على كل من تنطبق عليه معانيها، ويبقى السياق هو الذي يحدد معناها الإشاري، ويسمي بعض الأصوليين الألفاظ المترادفة

إشاريا بالمترادفة في الذات.

**■ 4، 3، 2، 2 ـ الترادف الإدراكي**

المراد بالترادف الإدراكي اتفاق لفظين (أو أكثر) في معناهما الإبلاغي المحض الخالي من الإيحاءات العاطفية، أو التأثيرية. ومنه اتفاق «فم»، و«ثغر»، وكذلك «عنق»، و«رقبة»، و«جيد» في المعنى الإدراكي، واختلافها في ظلالها المعنوية، والدليل على ذلك اختلاف سياقاتها كما هو بيّن في الأمثلة الآتية:

* دعا الإسلام إلى تحرير (جياد، أعناق، رقاب) العبيد.

* قصائد الغزل ملأى بوصف (جياد، أعناق، رقاب) النساء.

* يقتل المحكوم عليهم بالإعدام في كثير من البلدان بقطع (جياد، أعناق، رقاب) هم.

**■ 4، 3، 2، 3 ـ الترادف التام**

يتوقف وجود الترادف التام على تحقق شرطين:

1 ـ قابلية الاستبدال في جميع السياقات.

2 ـ التطابق في كلا المضمونين الإدراكي، والعاطفي.

ونظرا إلى صعوبة تحقق الشرطين، فإن «الترادف التام نادر الوجود فهو من الترف الذي يصعب على اللغة أن تجود به»[102].

وقد حاول جون لاينز التفريق بين الترادف الكامل complete synonymy، والترادف التام total synonymy بتخصيص الأول منهما لما انطبق عليه الشرط الثاني من الشرطين السابقين، وإفراد الثاني لما تحقق فيه الشرط

(102) Lyons, Introduction to Theoretical Linguistics 447, -8.

الأول[103]. وقد أضاف في دراسة أخرى مصطلح الترادف المطلق، وهو ما تحقق فيه الشرطان، بحيث يصير الترادف المطلق هو الترادف الكامل التام، ورأى أن هذا النوع من الترادف الذي يعني اتفاق اللفظين في المعنى الوصفي، والتعبيري، والاجتماعي، مع اتحاد التوزيع السياقي بينها غير موجود تقريبا[104].

## ■ 4، 4 ـ الدلالة الإدراكية والدلالة الإيحائية

يقصد بالدلالة الإدراكية ما يشمل كل أنواع المعنى التي تحدثنا عنها في الفصل المخصص للحديث عن أنواع المعنى أو الدلالة. والجامع المشترك بين تلك الدلالات الذي يميزها عن الدلالة الإيحائية

1 ـ اشتراك أفراد البيئة اللغوية عادة في فهمها.

2 ـ إدراكها إدراك عقلي محض يتوقف على معرفة الوضع، أو الاستنباط المنطقي، أو الاستعانة بأصول التخاطب، والتعاون.

3 ـ تؤدي وظيفة الإبلاغ.

أما الدلالة الإيحائية فيقصد بها المعنى العاطفي الزائد عن المعنى الإدراكي، ومن خصائصها:

1 ـ أنها تختلف باختلاف الأفراد.

2 ـ أن إدراكها إدراك عاطفي.

3 ـ أنها تؤدي وظيفة التأثير.

وبناء على ما سبق فإن الدلالة الإدراكية لكلمة «أم» هي الوالدة أو ما يرادفها من المعاني، أما دلالاتها الإيحائية فتختلف باختلاف الأفراد

(103) Lyons, Introduction to Theoretical Linguistics 448.

(104) Lyons, Language and Linguistics 148.

(الحنان، العطف، العناية ...إلخ). وكذا فإن الدلالة الإدراكية لكلمة «ليل» هي الوقت الممتد من المغرب إلى الفجر، أما دلالاتها الإيحائية فقد تكون (السهر، القلق، الخوف، السكون ...إلخ).

ويستخدم اللسانيون مصطلحات مختلفة لما أطلق عليه هنا الدلالة الإدراكية، والدلالة الإيحائية، فإبراهيم أنيس مثلا يستخدم الدلالة المركزية، والدلالة الهامشية، وقد ذكر أن أفراد البيئة اللغوية الواحدة يقنعون في حياتهم «بقدر مشترك من الدلالة يصل بهم إلى نوع من الفهم التقريبي الذي يكتفي به الناس في حياتهم العامة. وهذا القدر المشترك من الدلالة هو الذي يسجله اللغوي في معجمه»[105]. أما الدلالة الهامشية فعرفها بأنها «تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد، وتجاربهم، وأمزجتهم، وتركيب أجسامهم، وما ورثوه عن آبائهم، وأجدادهم»[106].

وقد شاع بين الغربيين استخدام مصطلحي الإحالة denotation، والإيحاء connotation للدلالة الإدراكية، والإيحائية. ومن تعريفاتهم للإيحاء ما يراه لاينز بأنه «المكون العاطفي أو الوجداني الزائد عن المعنى المركزي»[107]، وإذا كان لاينز يقصر الإيحاء على الظلال العاطفية، فقد أدخل هنري لوفيغر الجوانب العقلية أيضا، حيث عرفه بأنه «أصداء العلامات الانفعالية، والعقلية»[108]. ويتفق هارتمان، وستورك مع لوفيغر في ذلك حيث عرفا الإيحاء بأنه المعنى «المؤسس على

(105) 5 دلالة الألفاظ، ص 107.
(106) 6 دلالة الألفاظ، ص 106.
(107) Lyons، 1977: 1 :176.
(108) 8 هنري لوفيغر، اللسان والمجتمع، ترجمة مصطفى صالح (دمشق: مطبعة وزارة التربية والإرشاد القومي السورية، 1985)، ص 118.

المشاعر، والأفكار التي تلوح في عقل المتكلم (أو الكاتب) أو السامع (أو القارئ)»[109].

وقد انصب اهتمام مارتينيه في تعريفه للإيحاء على معيار الشيوع، وعدمه في التفريق بين الإحالة، والإيحاء حين ذكر أن الإيحاء هو «كل ما في استعمال كلمة ما، مما لا تشمله تجربة جميع مستعملي تلك الكلمة في تلك اللغة»[110].

وينبغي ألا يفهم أن الدلالة الإيحائية مقتصرة على ما يحوم حول المعنى المعجمي للكلمات من إيحاءات، بل تشمل أيضا ما يترتب على الأنماط الأسلوبية، والتغييرات القواعدية من ظلال أسلوبية مرتبطة بها. ومن ذلك التنغيم، والتقديم والتأخير، وأساليب التعجب، والمدح والذم، وقطع النعت للترحم، أو المبالغة في المدح، والذم.

كما أن بعض اللواحق، والصيغ الصرفية قد تضفي على المعنى ظلالا عاطفية، ومن ذلك صيغ التصغير الدالة على التحقير أو التعظيم أو نحو ذلك، واللاحقة «يّة» التي تشحن المصادر الصناعية بقوة عاطفية مؤثرة، كما في اشتراكية، وحرية، وتقدمية ورجعية.

### ■ 4، 4، 1 ـ عوامل الشحن العاطفي

لعلّ من أهم العوامل التي تلصق بالكلمة أو العبارة ظلالا عاطفية عامل الاستخدام، فتداول اللفظ بين الناس يصبغه بمشاعر مستخدميه، ويكسبه رصيد انفعاليا، ومن أدلة ذلك ما اكتسبته كلمة «جثمان» من ظلال ميّزته من مرادفتها كلمة «جسم» بسبب تخصيصها في

(109) R. R., Hartmann and F. C., Stork, Dictionary of Language and Linguistics (London: Applied Science Publishers, 1972),. (connotation).

(110) جورج مونان، مفاتيح الألسنية، تعريب الطيب البكوش (تونس: منشورات الجديد، 1981) ص 140.

الاستخدامات المتأخرة لجسم الميّت، وشبيه بذلك كلمة «عصابة» التي قصرها الاستخدام الحديث على الجماعة الخارجة عن القانون، مع أن استخداماتها القديمة لا تدل على ذلك، فقد وردت في شعر حسّان بن ثابت في المدح، حيث يقول:

**لله در عصابة نادمتهم يوما بجلق في الزمان الأول**

ومن العوامل التي تكتنز اللفظ بإيحاءات انفعالية الطبيعة العاطفية للمدلولات نفسها، كما في الكلمات الدالة على القيم كالحرية، والعدل، والمساواة، والكرامة، والأنفة، وكذلك الصفات المستهجنة أو المحببة للنفس مثل حقير، وسافل، وبغيض، وعظيم، وجميل، ورائع.

ومن عوامل الشحن العاطفي أيضا طبيعة التركيب الصوتي للكلمة أو العبارة، كما في قول دريد بن الصمة يرثي أخاه:

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسهفلما علاه قال للباطل: ابعد

فالوقع الصوتي، والجرس الموسيقي، والنمط التركيبي لعبارة «صبا ما صبا» ألبست المعنى ثوبا من العاطفة لاءم المعنى الأساسي الذي يعبر عنه الشاعر، وأسهم من جهة أخرى في إظهار حسرته، وحرقته على وفاة أخيه.

ومنها أيضا عامل الارتباط النفسي بين كلمة (أو عبارة)، وأخرى، حيث يجر استخدامها ما يحوم حول الأخرى من ظلال عاطفية، وهو ما يفسر تحفّظ حفاظ القرآن من استخدام عبارات نحو «كبيرهم هذا»، و«أنا خير من ..» لما تستدعيانه من إيحاءات مستهجنة بسبب ما جاء في القرآن من نحو «قال بل فعله كبيرهم هذا» إشارة إلى كبير الأصنام، و«كبيرهم الذي علمهم السحر»، وما ورد على لسان الشيطان عن آدم «أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين». وشبيه ما هذا ما يقوم

به مستخدمو اللغة حين يتجنبون استعمال ألفاظ معينة في بعض المواقف التخاطبية لما تجلبه من إيحاءات مستهجنة قد تكون مرتبطة بالمعاني الأخرى التي تدل عليها الكلمة أو العبارة. ومنه أيضا الارتباط الزماني، والمكاني بين كلمتين تستدعي إحداهما الأخرى عادة، كما في «عام الفيل» التي قد يؤدي ذكرها إلى استدعاء مولد الرسول ـ ص ـ إلى الذهن، وكما في «مكة» التي قد توقظ في الذهن ذكر المدينة، وفي كلتا الحالتين فإن المشاعر المرتبطة بالكلمة المستدعاة قد تنسحب على الكلمة المستعملة.



# المصادر والمراجع

## العربية


1. الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن، نهاية السول في شرح منهاج الوصول إلى علم الوصول للبيضاوي، تحقيق شعبان محمد إسماعيل (بيروت: دار ابن حزم، 1999).

2. الأسنوي، عبد الرحيم الحسن القرشي، نهاية السول في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول، تحقيق شعبان محمد إسماعيل (بيروت: دار ابن حزم، 1999م).

3. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1996).

4. التفتازاني، سعد الدين، حاشية على شرح عضد الملة والدين لمختصر المنتهى الأصولي، ط2 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1983).

5. ابن تيمية، أحمد، الإيمان، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني وزهير الشاوش (بيروت: المكتب الإسلامي، 1986).

6. ابن تيمية، أحمد، مجموع فتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن قاسم ومحمد عبد الرحمن بن قاسم (الرباط: مكتبة المعارف، د ـ ت).

7. الجرجاني، الشريف، حاشية على شرح عضد الملة والدين لمختصر المنتهى الأصولي، ط2 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1983).

8. الجويني، إمام الحرمين أبو المعالي، البرهان في أصول الفقه، تحقيق عبد العظيم الديب (قطر: 1299 هـ).

9. ابن الحاجب، مختصر المنتهى الأصولي، ط2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1983).

10. ابن حلول أبو العباس أحمد عبد الرحمن القيرواني، حاشية على شرح تنقيح الفصول (تونس: المطبعة التونسية، 1910).

11. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار صادر، بيروت، 1970).

12. الذهبي، الحافظ، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد زغلول (بيروت: دار الكتب العلمية، 1985).

13. الرازي، فخر الدين، المحصول في علم أصول الفقه (بيروت: دار الكتب العلمية، 1988).

14. الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب (القاهرة: دار الطباعة العامرة، د ـ ت).

15. الزركلي، خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط11 (بيروت: دار العلم للملايين، 1995).

16. السبحاني، جعفر، الموجز في أصول الفقه، ط2 ( مؤسسة الإمام الصادق).

17. السبكي، تاج الدين، جمع الجوامع بحاشية العطار (بيروت: دار الكتب العلمية، 1999م).

18. السبكي، علي بن عبد الكافي، وتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول، تحقيق شعبان محمد إسماعيل (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، 1981م).

19. السيوطي، الإتقان،

20. السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولىوآخرون، (القاهرة: دار الفكر، د ـ ت)

21. صدر الشريعة، عبيد الله بن مسعود، شرح التوضيح على التنقيح (القاهرة: المكتبة الخيرية، 1306هـ).

22. الصفدي، صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، تحقيق أيمن فؤاد سيّد (بيروت: دار صادر، 1991).

23. عبد الشكور، محب الله،شرح مسلم الثبوت، ط2 (قم، إيران: دار الذخائر، 1368 هـ).

24. عضد الملة والدين، شرح مختصر المنتهى الأصولي لابن الحاجب،ط2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1983).

25. علي، محمد محمد يونس، وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية: دراسة حول المعنى وظلال المعنى (طرابلس: منشورات جامعة الفاتح، 1993).

26. الغزالي، أبو حامد، معيار العلم في فن المنطق، ط4 (بيروت: دار

الأندلس، 1983).

27. القرافي، شهاب الدين، شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول (بيروت: دار الفكر، 1997).

28. القرافي، شهاب الدين، نفائس الأصول في شرح المحصول، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط2 (الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1997).

29. القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط3 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986).

30. الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات والذيل عليها، إحسان عباس (بيروت: دار صادر، 1973).

31. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين (بيروت: مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993).

32. لوفيفر، هنري، اللسان والمجتمع، ترجمة مصطفى صالح (دمشق: مطبعة وزارة التربية والإرشاد القومي السورية، 1985).

33. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي، السنن، (جمعية المكنز الإسلامي: 2000م).

34. المحلي، الجلال، شرح جمع الجوامع بحاشية العطار (بيروت: دار الكتب العلمية، 1999م).

35. المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط2 (ليبيا ـ تونس: الدار العربية للكتاب، 1982).

36. المطيعي، محمد بخيت، سلم الوصول لشرح نهاية السول (بيروت: عالم الكتب، د ـ ت).

37. الموصلي، محمد، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم (مكة: المكتبة السلفية، 1368).

38. مونان، جورج، مفاتيح الألسنية، تعريب الطيب البكوش (تونس: منشورات الجديد، 1981).

39. ابن النجار، محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي، شرح الكوكب المنير، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد (الرياض: مكتبة العبيكان، 1997).

## المراجع الأجنبية:

1. Akmajian، A.، R. A. Demers.، and R. M. Harnish، Linguistics: An Introduction to Language and Communication2، nd Edition (London: The MIT Press Cambridge(1984 ،
2. Austin، J. L.، How to Do Things with Words (Cambridge، Mass.: Harvard University Press(1962 ،.
3. Bazell، C. E.، J. C. Catford، M. A. K. Halliday and R.H. Robins (eds)، In Memory of J. R. Firth ،(Longman،(1979 ، p.v.
4. Blakemore، Diane، Understanding Utterances: An Introduction to Pragmatics (Oxford: Blackwell Publishers(1992 ،
5. Bloomfield، L، Language (New York: Holt، Rinehart & Winston(1933 ،.
6. Brown، Gillian and George Yule، Discourse Analysis) Cambridge: CUP، (1983
7. Bosworth، C.E. and Others، The Encyclopaedia of Islam (Leiden: Koninklijke(1997 ،
8. Busmann، Hadumod، Routledge Dictionary of Language and Linguistics، translated and edited by Gregory Trauth and Kerstin Kazzazi (London: Routledge(1996 ،.
9. Capone، Alessandro، Review of Ken Turner (ed.) ،The semantics/pragmatics interface from different points of view. Oxford: Elsevier، ،1999 J. Linguistics 37 (2001) Cambridge University Press.
10. Carnap، R، Meaning and Necessity (Chicago: The University of Chicago Press(1956 ،.
11. Carston، Robyan "Implicature، Explicature، and Truth-Theoretic

Semantics". In Steven Davis (ed.)، Pragmatics: A Reader (New York: Oxford University Press(1991 ، pp.32-51.

12. Carter، Micheal's Review of Mohamed M Yunis Ali، Medieval Islamic Pragmatics، Islamic Law and Society (Brill Academic Publishers 2002 Volume: 9 Number: 2)، pp. 275-280.
13. Chomsky، N.، Aspects of the theory of Syntax Cambridge (Mass: the MIT Press(1965 ،.
14. Chomsky N. ،"Some Empirical Issues in the Theory of Transformational Grammar" In S. Peters (ed.)، Goals of Linguistic Theory. (Englewood Cliffs، N.J: Prentice-Hall(1972 ،
15. Davidson، Donald ،"What Metaphors Mean"، in Steven Davis (ed.)، Pragmatics: A Reader ،(New York: Oxford University Press،(1991 ، pp. 495-506.
16. Ellis، J ،"On Contextual Meaning". In Bazell and Others (eds). In Memory of J. R. Firth ،(Longman،(1979 ،
17. Gamut، L. T. F.، Logic، Language، and Meaning: Introduction to Logic (Chicago: University of Chicago(1991 ،.
18. Gawron، Jean Mark and Stanley Peters، Anaphora and Quantification in Situation Semantics (Stanford: CSLI(1990 ،.
19. Grice، H. P. ،"Logic and Conversation"، in Peter Cole and Jerry L. Morgan (eds.)، Syntax and Semantics: 3 ، Speech Acts (New York: Academic Press،(1975 ، pp. 41-58.
20. Grice، H. P. ،"Logic and Conversation"، in Steven Davis (ed.)، ..( Pragmatics: A Reader ،(New York: Oxford University Press،(1991 ، pp. 305-315.
21. Grice، H. P. ،1968 ،"Utterer's Meaning، Sentence-Meaning and Word-Meaning ،Foundations of Language 4: 225-42.
22. Grice، H. P.، The Causal Theory of Perception" In R. Shwarts (ed.)، Perceiving، Sensing، and Knowing (New York: Doubleday(1965 ،.
23. Grundy، Peter، Doing Pragmatics (London: Edward Arnold(1995 ،
24. Halliday، M. A. K. ،"Lexis as a Linguistic Level". In Bazell and Others (eds). In Memory of J. R. Firth ،(Longman(1979 ،.
25. Harnish، Robert M. ،"Logical Form and Implicature". In Steven Davis (ed.)، Pragmatics: A Reader (New York: Oxford University Press(1991 ،
26. Hartmann، R. R. K and F. C.، Stork، Dictionary of Language and Linguistics (London: Applied Science Publishers(1972 ،

27. Horn، L.R ،"Presupposition and Implicature". In: Lappin، S.: The Handbook of Contemporary Semantic Theory (Oxford: Blackwell، (1996.

28. K، Kazzazi، Routledge Dictionary of Language & Linguistics (Routledge: 1996).

29. Lakoff، G. ،"Pragmatics in Natural Logic". In E. L. Keenan، Formal Semantics of Natural Language (Cambridge: CUP(1975 ،.

30. Leech، Geoffrey، Principles of Pragmatics (Newyork: Longman(1983 ،

31. Levinson، Stephen C.، Pragmatics (Cambridge: CUP(1983 ،

32. Lewis، B.، V. L. Menage، C. H. Pellat and J. Schacht (eds.)، The Encyclopaedia of Islam (Leiden: E. J. Brill(1979 ،.

33. Lyons، John ،"Firth's Theory of Meaning". ". In Bazell and Others (eds). In Memory of J. R. Firth ،(Longman(1979 ،.

34. Lyons، John، Language and Linguistics: An Introduction ،(Cambridge: Cambridge University Press1981).

35. Lyons، John، Linguistic Semantics: An Introduction (Cambridge: Cambridge University Press ،(1995 ،

36. Lyons، John، Semantics (Cambridge: Cambridge University Press، (1977.

37. Martinet A.، Elements of General Linguistics، Translated by E.، Palmer (London: Faber Ltd(1964 ،.

38. Ogden، CK and IA Richards "Thoughts، Words and Things"in Donald E. Hayden and E. P. Alworth (eds)، Classics in Semantics (London: Vision Press Limited(1965 ،.

39. Robins، R. H.، General Linguistics: An Introductory Survey2، nd ed، (London: Longman(1978 ،.

40. Sadock and Zwicky (1985

41. Sperber، Dan and Deidre Wilson ،"Irony and the use-mention distinction". In Peter Cole (ed)، Radical Pragmatics، pp 295 318. (New York: Academic Press(1981 ،.

42. Sperber، Dan and Deidre Wilson ،"Mutual knowledge and relevance in theories of comprehension." In: N.V. Smith (Ed.): Mutual Knowledge. (London: Academic Press85 - 61 ،(1982 ،.

43. Sperber، Dan and Deidre Wilson، D، Relevance: Communcation and cognition. (Oxford : Blackwell(1986 ، p.182.

44. Saussure، F. d، Course in General Linguistics (New York: McGraw-Hill

Book Company(1959 ،

45. Searl، J. R.، Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language، Cambridge: Eng.: Cambridge University Press(1969 ،.
46. Searl، J. R. ،"Metaphor"، in Steven Davis (ed.)، Pragmatics: A Reader، (New York: Oxford University Press524 _ 520 ،(1991 ،.
47. Sperber، Dan and Deirdre Wilson، Relevance: Communication and Cognition (Oxford: Blackwell, 1986).
48. Strawson، P. F.§ ،Intention and convention in speech acts' ، Philosophical Review (1964)60 _ 439 :73 ،.
49. Tsohatzidis، S. L.، ed.، Foundations of Speech Act Theory: Philosophical and Linguistic Perspectives، London: Routledge(1994 ،.
50. Weiss، B. G. ،"Language in Orthodox Muslim Thought: A Study of 'Wad' al-lughah' and its Development" unpublished Ph.D. thesis (Faculty of Princeton University; Dept of Oriental Studies(1966 ،
51. Wilson، Deirdre and Dan Sperber ،"Inference and Implicature" in Steven Davis، Pragmatics: A Reader (New York: Oxford University Press 1991)
52. _____ ،"On Grice's theory of conversation.". In: P. Werth (Ed.): Conversation and Discourse. (London: Croom Helm178 _ 155 ،(1981 ،.
53. Yunis Ali، Mohamed Mohamed، Medieval Islamic Pragmatics: Sunni Legal Theorists' Models of Textual Communication (London: Curzon Press(2000 ،.

# فهرس عام